المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

• آرنجندن والحارس الليلي

• النيران تخمد وتشتعل بقسوة

من المسرح النيجيري

تأليف: فيمي أوسوفيسان

ترجمة : د. محمد مبارك بلال

مراجعة: د. جلال حافظ

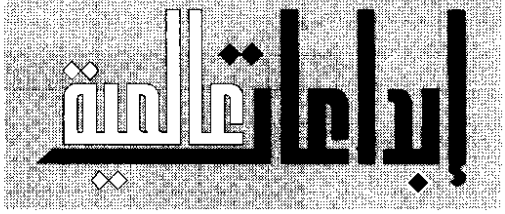

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

المشرف العام:
أ. بدر سيد عبد الوهاب الرفاعي

هيئة التحرير:
أ. سليمان داوود الحزامي/ مستشارا
د. حيدر غلوم خاجة
أ. زايد الزيد
د. زبيدة علي أشكناني
د. سعاد عبدالوهاب العبد الرحمن
د. سليمان علي الشطي
أ. طالب الرفاعي
أ. فارس جون غلوب
د. محمد المنصف الشنوفي

مديرة التحرير
وسمية الولايتي

التنضيد والإخراج والتنفيذ:
وحدة الإنتاج
في المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب

www.kuwaitculture.org

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	500 فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	10 د.ك
للمؤسسات	20 د.ك

دول الخليج

للأفراد	12 د.ك
للمؤسسات	24 د.ك

الدول العربية الأخرى

للأفراد	25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	50 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	100 دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147
دولة الكويت

ردمك ٨ - ١٠٣ - ٠ - ٩٩٩٠٦
ISBN 99906 - 0 - 103 - 8

● آرنجندن والحارس الليلي

من المسرح النيجيري

العنوان الأصلي :

Aringindin and the Night Watchmen ●

ترجمت عن اللغة الانجليزية

الطبعة الأولى : (١٩٩٢)

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 2003م

إبداعات عالمية - العدد 342

صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(١٩٢٣ - ١٩٩٠)

اسم اللوحة : البحث عن هوية

الفنـــان : عبدالحميد الحماد / الكويت

المـــادة : زيت على قماش

القياس : ٩٠ X ٦٠ سم

مقدمة المترجم

سمات الفن والأدب الأفريقيين

إن ما يميز الفن والأدب الأفريقيين، أنهما يعبران عن سلسلة من تراث موغل في القدم، يعتمد على العديد من الأساطير والخرافات وطقوسهما، التي تحولت، مع الزمن، إلى تقاليد راسخة في البيئة الأفريقية المتوارثة، خاصة مع استعداد راسخ لدى الإنسان الأفريقي، الذي تحكمه في الغالب روح وأفكار الجماعة، حيث تمثل القبيلة العائلة الأشمل لهذا الإنسان، وتكون البيئة القاسية وتضاريسها الصعبة الخلفية الإنسانية التي تنطلق منها مجمل أنشطته، وتتشكل اقتناعاته في الحياة، منذ مولده وحتى مماته؛ وهو وضع طبيعي لإنسان لديه هذا الكم الهائل من الثنائيات والتمازجات في اللغة والدين، وتعدد الآلهة!

يضاف إلى هذا الغنى الكبير في أشكال الفن وتقاليده، من الناحيتين التعبيرية والاستعراضية، وبخاصة فنون الرقص، والحفلات التنكرية، وطقوس الممارسات الدينية، والمولد، والموت والشعائر المصاحبة لهما. كما أن الفن الأفريقي، من حيث إنه يمثل جزءا من حياة الناس، يتميز باعتبار «الجمهور» جزءا مكملا له، حيث يشارك أفراده في عروض المسرح مثلا بشكل تلقائي، من دون إعداد مسبق، بسبب طبيعة طقوس هذه العروض الفنية، التي يعتبرها الجمهور امتدادا لمعتقدات مشتركة، يوظفها الفنانون، لإيصال خطابهم إلى الجمهور الواسع.

الفن والأدب في نيجيريا

أولا يجب الإشارة إلى أن هناك ثلاثة عوامل رئيسية أثرت بشكل مباشر في طبيعة الفن والأدب الأفريقيين، اثنان منها يتميزان بالخصوصية (أي أنهما يتمتعان بطابع أفريقي خاص)، بينما يخضع العامل الثالث للعمومية (هذا العامل يوجد أيضا في الآداب الأخرى)، وهو العامل الذي أوجد ضرورة العاملين الآخرين، هذا العامل الأخير، يتعلق بالطبيعة الشفهية للآداب القديمة، التي وجدت لدى بعض الشعوب، خاصة تلك التي كانت ذات طبيعة أمية، وتملك كما كبيرا من الأساطير والخرافات والملاحم والسير، وتعتمد على توارث تاريخها عن طريق المشافهة والسرد، وذلك لعدم قدرة هذه الشعوب على توثيق الكثير من تاريخها بطريق الكتابة المقننة، ونشرها بين أفرادها، وتصديرها إلى الأمم الأخرى، التي تعتمد الكتابة والتدوين، طريقا وحيدا لتوثيق التاريخ والمعرفة! ... كما ساهم هذا العامل في عدم انتشار الأدب والفن الأفريقيين بشكل كبير، ومنذ زمن طويل، فإنه أيضا، كان سببا لظهور العاملين الآخرين، اللذين فرضا كتابة هذا الأدب بلغات أجنبية، مثل الفرنسية والإنجليزية، وفرض صور الأدب الأفريقي الأولى خارج أفريقيا، وخصوصا فرنسا!، وهو التيار الأول والأشهر في بعث الأدب الأفريقي، والذي اشتهر في فرنسا خصوصا، وسمي بـ «الزنجية»، وكان الأديب الكبير «ليوبولد سنجور» من قادته. وهو اتجاه اهتم باستخدام الشعر بوجه خاص، للتعبير عن الروح الأفريقية، مخاطبا العقلية الأوروبية بلغتها، وموظفا أشكالها الأدبية القحة، من دون الاستعداد لمزج الشكل

الأوروبي مع أشكال الفنون الشعبية الأفريقية العريقة، وكأنه بذلك ينظر بتعال إلى بساطة فن آبائه وأجداده، الذي هو أساس ومصدر إلهامه، وشهرته بين الأوروبيين!

أما التيار الثاني، الذي انعكس في الأدب النيجيري، والمسرح بوجه خاص، فإنه ابتعد عن الفلسفة الأدبية التي يفرضها كل من الاستعمار الفرنسي والإنجليزي، على حد سواء، إضافة إلى تقديم نماذج مختلفة من أنواع الأدب الأفريقي، كان العامل المشترك بينها، الروح العالمية، من ناحية اللغة، والشكل الفني، وأيضا التركيز على أهمية معالجة القضايا المصيرية للإنسان الأفريقي. فكُتاب نيجيريا البارزون مثلا، مع استخدامهم اللغة الإنجليزية لكتابة أعمالهم الأدبية، وضمن الشكل الأوروبي للمسرح: شخصيات، وصراع، وحوار، وإيهام بالحقيقة التصورية للمسرحية، نجدهم في الوقت نفسه يحرصون على أن يكون الموضوع المعالَج، أفريقيا قحا، ونابعا من البيئة، ممثلا مشكلات أفريقيا وتطلعها نحو مستقبل أفضل! وهو ما اتضح بشكل دائم، في أعمال مؤلف مسرحيتنا هذه، وزميله النيجيري، عملاق الأدب الأفريقي «وول شوينكا»، فهما معا يسخران من فكرة «الزنجية» وأسلوبها المتعالي على الروح الأفريقية الصميمة للشعب، إضافة إلى اهتمام الكاتبين برفض تعليق الحلول لمشكلات الإنسان الأفريقي على مسيح جديد، وأهمية اعتماد الشعب، في بحثه عن حلول لمشكلاته، على نفسه! وكمثال حي على التشابه الفكري لدى هذين الكاتبين، نرى مسرحيتنا هذه لـ «فيمي أوسوفيسان» تنتهي بالنهاية نفسها التي انتهت بها مسرحية «وول شوينكا» الشهيرة «الطريق»، فبينما يموت البروفيسور لدى «شوينكا»،

وتموت معه فكرة المسيح الجديد، ويتحرر من سيطرة أفكاره جميع السائقين، نرى أن أوسوفيسان يصل إلى النتيجة نفسها، عندما يتخلى «البآلي» عن مركزه، كزعيم للمدينة، ويقتل «آرنجندن» الذي يمثل الفكر، والسلوك الفاشستي ضد مصالح الشعب. إضافة، فإن كلا من المؤلفين يصر على أن تكون الأحداث داخل مجتمع أفريقي قح، من دون وجود شخصيات خارجية، أو أجنبية، تمثل الرجل الأبيض. أما من ناحية طبيعة البناء الدرامي للمسرحية، فمسرحياتهما مليئة بأشكال الفولكلور «الأفريقي - النيجيري»، ولكنه محبوك بطريقة ذكية وجميلة، حتى ليبدو كأنه جزء من نسيج البناء الفني للعمل المسرحي. وهو ما يسهم في خلق تقاليد فنية أفريقية خاصة تصبح، مع تداولها ومرور الزمن، جزءا أساسيا في بناء المسرحية، ووسيلة فعالة في إيضاح وإيصال الخطاب المسرحي الخاص بالفن المسرحي الأفريقي، والنيجيري بوجه خاص.

ومع كل ذلك، فإن مسرحية «آرنجندن والحارس الليلي»، تحتوي على العديد من التنويعات في الصراع وفي البناء الفني أيضا. فالصراع مثلا يدور على عدة مستويات، أولها المستوى الموازي للصراع العام الذي يدور حول مجمل أهل المدينة، وبين اللصوص والفساد، ولكن المستوى الثاني يتضح من خلال شكل فني، يخضع لتقاليد الفنون الأفريقية، وهو مايصوره المؤلف بعبقرية، كرقصات فولكلورية بين الرجال والنساء، الأمر الذي يضفي على المسرحية، أيضا، روحا من الفرجة والجمال والتشويق. كما يوظف المؤلف في مجمل أجزاء المسرحية الأشعار التقليدية، مستخدما لغة «اليوروبا» الأفريقية، ومستبدلا رتابة الراوي بها.

نبذة عن المؤلف

ولد فيمي أوسوفيسان في يونيو عام ١٩٤٦ في الجزء الغربي من نيجيريا ومنه انطلق ليحقق طموحاته، وبعد وفاة والده، درس في كليات جامعة «آبادان» المدنية، التي انطلق منها ليواصل دراساته في «داكار» و «باريس». وقد اشتهر بحبه للأسفار والتجوال بحثا عن المعرفة والخبرة؛ فجال في دول أوروبا الغربية، وزار الولايات المتحدة الأمريكية، كما عزز معرفته ببلاد أفريقيا الأخرى، وخاصة الجزء الغربي من القارة الأفريقية.

مارس أوسوفيسان جميع أنواع الكتابة الأدبية تقريبا، فكتب القصة، والشعر، وتخصص في الكتابة للمسرح، سواء باسمه الشخصي، أو من خلال أسماء أخرى مستعارة؛ التي كان أشهرها «أوكينبا لونكو». وقد فاز مرتين متتاليتين بالجائزة المميزة، التي يمنحها سنويا اتحاد الكتاب النيجيريين للأدباء، فكان ذلك عام ١٩٨٤ عن مجموعته المسرحية بعنوان «مورنتوديوم ومسرحيات أخرى». وعام ١٩٨٧ تحت اسمه المستعار «أوكينبا لونكو»، عن مجموعته الشعرية المسماة «قروش برائحة النعناع». وقد انتخب رئيسا لاتحاد الأدباء المذكور لفترتين متتاليتين.

وقد عمل أيضا كصحافي، وشغل مركزا قياديا في مجلس تحرير صحيفة «الجارديان»، حيث كان له عمود أسبوعي ثابت إلى وقت قريب. والآن يعمل رئيسا لقسم فنون المسرح في جامعة آبادان في نيجيريا.

مسرحية آرنجندن والحارس الليلي

وفي هذه المسرحية بالذات يتضح أسلوب فيمي أوسوفيسان في الكتابة للمسرح، حيث تتبلور رعايته المدروسة للتقاليد الأفريقية العريقة في الأدب والفن، منعكسة على استعارة الأشكال العالمية للمسرح الأوروبي، وهذا التمازج الواعي، يعكس بدوره هدف المؤلف المعلن للانفتاح على العالم الخارجي، من خلال استخدام أطر مشتركة من التقاليد الأوروبية والفنية، التي تتميز بالعالمية، من حيث إنها تقاليد فن عالمي، وذلك لإيصال شحنات خطابه الخاص، النابع من داخل الروح الأفريقية، والمعبر عن أزمة إنسان هذه القارة، الناتجة عن محاولاته اللحاق بالركب الإنساني العام، وإحباطاته - في الجهة الأخرى - المتمثلة في التقاليد البالية، وممارسات الأشرار، الذين لاهمَّ لهم سوى تحقيق أهدافهم الدنيئة، ولو دفع الجميع ثمن ذلك! وفي هذه المسرحية يعلن ذلك صراحة، حيث يصور سكان المدينة (وهم يمثلون في رأيه كل أفريقيا)، يعانون تسلط الماضي بكل خرافاته وأوهامه، ممثلا بشخصية «البآلي»، بينما يتمثل العنصر المدمر الآخر، في رجال الأمن، الذين يفترض فيهم حماية الإنسان الأفريقي، وترسيخ القيم الديموقراطية في المجتمع، ولكن العكس يحدث، حيث يمارس «الحراس الليليون» في المسرحية السرقة، ويرتكبون جرائم القتل!!

إن المؤلف يطرح اتهاما دامغا، ويفضح هذه الممارسات اللإنسانية أمام العالم، هادفا إلى المساهمة في صحوة أفريقيا من سبات الخرافات والروح الوصولية!

كذلك فإنه يعلن، بوضوح، أننا يجب أن نكون على استعداد لتقديم الضحايا، والموت من أجل أن ننير عقول كل الأفريقيين، ولذلك تقتل في المسرحية الشخصيات الطيبة، والواعية لأهمية الخطاب التقدمي في حياة الناس، فيموت أباندي أولا، وفي النهاية تتبعه يوبي، مضحية بنفسها، وآخذة بثأر أباندي، وثأر كل سكان المدينة، وذلك بقتلها «آرنجندن» قبل قتلها لنفسها بالبندقية نفسها، فالبندقية عمياء تقتل الخير ... كما تقتل الشر!.

د. محمد مبارك بلال

مقدمة المؤلف

جرت العادة أن تعبر المسرحية عن مضمونها، ولكن بسبب الجدل الذي أثير بعد أول إنتاج لهذه المسرحية، فإننا نرى من الضروري إضافة بعض التفسيرات، خاصة فيما يتعلق بالنهاية الجافة للمسرحية (التي غيرت جزئيا فيما بعد).

لقد كان الهدف من المسرحية، ببساطة، تعرية ما أدعوه التطور الطبيعي للفاشية، الذي تتكاثر من خلاله، في بلادنا، أو فيما يسمى بالعالم الثالث.

وأينما تواجه الناس أي مشكلات، فهم يلجأون بتركها إلى مسيح جديد (أو مجموعة مسحاء) حيث يعتقدون فيما بعد بأنهم يملكون قوى تتجاوز المعتاد، بما في ذلك، بالطبع، التحكم في عقول الناس، والنتيجة الحتمية، بالطبع، هي نظام فاشي! خاصة إن كان هؤلاء المسحاء يرتدون زيا عسكريا، ما يجعل الديموقراطية الضحية الأولى!.

إن الدعوة لوجود مسحاء جدد، لا يمكن أن تموت، خاصة عندما تتحول الأمور إلى الأسوأ على الساحة السياسية، وتتردد صرخة كونية تطالب بتغيير الحكومة، ولكن بالطبع من خلال التدخل العسكري. إننا نحن الذين أوصلنا هؤلاء النخبة إلى الحكم، وها نحن نستبدل بهم مجموعة آخرى من المهرجين. وعندما يخذلنا العسكر، نبحث بسرعة عن انقلاب آخر! بينما كل ما نحتاج إليه في الحقيقة هو أخذ السلطة بأنفسنا، واقتسامها بيننا، وبين بقية الشعب.

إذن، فهذه المسرحية هي مرآة لما يجب أن نفعله، وما فشلنا في فعله، مبالغ فيها بطريقة مقصودة بالطبع، وذلك بهدف مضاعفة الصدمة، ونشر الوعي حول المسار الخطر الذي نسير فيه جميعا باختيارنا.

وكما أوردت في العديد من المناسبات الأخرى، فإن التاريخ لا يمكن أن يكون خامدا بشكل كامل، عندما يكون هناك قوى تجاهد بإصرار ضد قسوة الحاكم، وغيبوية الأكثرية المؤقتة. إن هذه المسرحية هي صوت هذه القوى، وعلامة للوحدة، وكذلك في مناسبات أخرى هي محرك لكفاحهم، من أجل تحريرنا جميعا.

فيمي أوسوفيسان

جامعة آبادان - نيجيريا ١٩٩٠

الجزء الأول

الشخصيات:

- لاميدي: حارس ليلى، جثة ميتة.
- ماما توكونبو: صاحبة متاجر «إيرتي».
- بوكونلا: خادمتها.
- آرنجندن: جندي متقاعد، محارب قديم.
- بآلي: الزعيم الروحي المحلي.
- أولو دي: عجوز من القرية.
- جباد يجسن: عجوز آخر من القرية.
- بانونهون: عجوز آخر من القرية.
- (حكماء القرية، وأتباع البآلي).
- دوكيتا أودوكي: طبيب.
- القنصل.
- آييندي: المدرس.
- يوبيو بين: ابنة القنصل وصديقة للمدرس.
- أوريشاتوبا: صاحب وكالة أسيرلابو المحدودة.
- السيدة بيمبولا داري: صاحبة بوتيك بيمبوستك.
- فاتوسن: صاحب محلات فاتو سن وأولاده المحدودة.
- إليبوتي: صاحب مؤسسة إليبوتي للأجهزة الإلكترونية.
- جوكوتولا: مواطن.
- كوكو: مواطن.
- لابوبو: مواطن.
- جبادا موسى: مواطن.
- سايومي: مواطن.
- أوسمان (عثمان): مواطن.
- موسودي: مواطن.
- مواطنون آخرون، مغني (مداح)، طبالون.

(تبدأ المسرحية بمشهد يعبر عن الفوضى والدمار، ميدان القرية تحيط به عدة متاجر، ويبدو أنها خربت وسرقت من خلال طاولات البيع المقلوبة، والأبواب المكسرة... إلخ. وتظهر أعماق بعض المحلات لتؤكد هذه الفوضى والتخريب (تبدو واضحة للجمهور). وفي وسط هذا الخراب يظهر جسد الحارس الليلي وهو ملقى على الطريق).

الوقت صباحا:

ماما توكونبو: أقسم برأس أبي.. لقد قتلوني مرة أخرى، لقد انتهيت، انتهيت!

بوكـــــونلا: (ترى الحارس، فيغمى عليها).

ماما توكونبو: بوكونلا؟ ما هذا..

(ترى بدورها الحارس، فتنهار، بينما يتزاحم الناس راكضين من جهات مختلفة، معبرين عن أشكال مختلفة من الهلع، كرد فعل على الخراب المحيط بهم. يدخل آرنجندن).

آرنجـــنـــدن: ابتعدوا، ابتعدوا جميعا! (يجثو بجانب الأجساد الراقدة على الأرض) جبادا، استدع الطبيب، لا تقف هكذا جامدا كالصنم! أنت تعال ساعدني.

(يخرج جبادا راكضا. ويتعاون الجميع بوضع ماماتو كونبو وبوكونلا بوضع الجلوس، ويبدأون بالترويح عليهما باستخدام ملابسهم. يتجه آرنجندن إلى الحارس).

كـــوكـــو: (يقف قـرب الجـثـة) لا فـائـدة يا آرنجندن. لـقـد قاموا بـ (يقوم بحركة تعبر عن الذبح).

آرنجـــنـــدن: هذا سيء جدا! (يبتعد جانبا، ويبدأ بعزف آلة الهرمونيكا، ويبدو أن الموجودين لا يهمهم أمره. وكأن هذا تصرف مألوف منه).

(وتغطي جوكو (امرأة) جثة الحارس، وتسمع طبول معلنة دخول بآلي مع ثلاثة مسنين والمغني (المداح).

بـــآلـــي: ماذا حدث؟ لماذا كل هذا الصراخ في هذا الوقت المبكر من الصباح؟

لابـــــو: (مشيرا) انظر هناك يا بآلي!

بـــآلـــي: (يرى مدى الدمار). سانجو(*)!

أولـــودي: مرة ثانية!

جباد يجسن: هذا مستحيل!

جـــوكـــو: لقد سرقوا كل شيء!

لابـــــو: وحطموا المكان وقطعوا كل شيء!

بـــآلـــي: كيف يمكن أن يحدث ذلك؟

أولـــودي: لا بد أن عددهم كان كبيرا جدا!

بانونهـــون: لقد قاموا بعملهم بأناة ومن دون خوف! انظر إلى الآثار على الأرض، يبدو أنها آثار عجلات شاحنة كبيرة!

بآلي: ولكن... ألم يشعر بهم أحد أبدا؟

(*) إله (اليوروبا) للبرق والرعد!

موسودي: لا بد أنهم استغلوا مطر ليلة البارحة للقيام بجريمتهم!

لابو: لقد سمعت أصواتا، لا بد أنها كانت صادرة عن شاحنتهم. ولكنني اعتقدت بأنها أصوات الرعد.

بآلي: ولكن كان المفروض أن يقوم لاميدي بالحراسة. أين هو؟

كوكو: هناك!

بانونهون: أين؟ (يرى الجثة) آه... لا...!

كوكو: لقد قتلوه هو أيضا!

جباد يجسن: آه... يا الله!

آرنجندن: (ينتصب واقفا، يبصق تحت أقدام بآلي ويخرج من المكان، ويتدخل المغني (المداح) بسرعة لتهدئة بآلي. وبدخول الطبيب - ومعه جبادا - تهدأ النفوس، ويزول التوتر).

أولودي: آه ها هو الطبيب أخيرا!

الطبيب (دوكي): أصحيح أن هجوما آخر قد حدث؟!

جباد يجسن: نعم يا دكتور، خلال عاصفة البارحة.

لابو: فكروا بذلك، إنه الهجوم الثالث خلال أسبوعين!

كوكو: (حزينا) ولكن اللصوص - هذه المرة - سلبوا شيئا لن يستطيع أي منا إعادته (مشيرا إلى الجثة).

جوكو: إننا في خطر يا بآلي، خطر كبير جدا!

الطبيب (دوكي): (يفحص الجثة) ياللقسوة، ولماذا؟ أراهن بأنه قتل من أجل عدة قطع من ملابس مبهرجة!

لابو: لا، يا دكتور ليس من أجل عدة قطع ملابس

مبهرجة، انظر هناك! تلك المتاجر كانت أغنى المحلات في المدينة!

جـــوكـــو: دانتلا.. وحرير، وأجهزة تلفزيون.

مـــوســـودي: أحجار كريمة، كل ما يحلم به الإنسان!

لابـــــــو: لقد كانت هذه الأشياء تساوي الآلاف!

كـــوكـــو: ما زال الطبيب محقا. ما قيمة كل هذه الأشياء اللامعة أمام حياة إنسان؟

بـــآلـــي: هيا ارفعوه، واحملوه إلى قصري.

جـــوكـــو: آه اللعنة على أولئك اللصوص.

الطبيب (دوكي): (يفحص ماما تو كونبو وخادمتها) انهما بخير، إنها مجرد صدمة. ساعدوهما للوصول إلى البيت، وسألحق بكم فيما بعد.

(ترافق الاثنتين مجموعة من النساء، وهن يتهامسن، ويهززن رؤوسهن معبرات عن تعاطفهن مع المرأتين. يبدأ المغني (المداح) في الغناء وتردد النساء غناءه وهن خارجات).

بانونهـــون: شكرا أيها الطبيب.

الطبـــيب: أنا حزين على لاميدي، لقد كان رجلا هادئا ووحيدا.

أولـــــودي: ويا لها من نهاية! لا أحد يعرف من أين أتى، لقد كان يقوم وحده بكل الأعمال المتعبة في هذا المكان، يحفر المجاري والآبار، ويصنع قوالب البناء من أجل إعالة نفسه، ويرفض الصدقات، ولكنه كان دائما يعيش منعزلا!.

الطبـــــيب: تصـور ذلك! ترهق نفـسك بالعـمل - الى حـد العـبـودية - طوال حـيـاتك، ثم تصل إلـى هذه النهاية القاسية!

بانونهـــون: إن الحياة قاسية جدا يا ولدي.

جباد يجسن: والله، إن الموت هو خصيمها!...

بانونهـــون: نركع كل يوم وندعو الله أن يجنبنا مصير الروح الهائمة! ولكن الصلاة تحولت الآن لدى بعضنا إلى شيء مزيف!

الطبـــــيب: مسكين يا لاميدي! لن يقوم أحد حتى بدفنه.

بـــآلـــــي: سـوف نقـوم بدفنه. الغـريب الذي يأكل من ملحنا، ويشـرب من مائنا، لا نعتـبره غـريبـا! لقـد أصـبح لاميدي واحدا منا، ولذلك يجب أن يدفن كواحد منا.

المغني (المداح): (يثني على البآلي)

بانونهـــون: أنت على حق أيهـا الشـيخ، يجب أن يعـامل كأحد أقربائنا.

أولـــــودي: لقـد ضـحى بنفـسـه من أجلنا. لعل (أديومـيـر) يرسل ريحا قوية توصل روحه إلى أهله!

بـــآلـــــي: آمين! إن «أولودي» بنفـسـهـا سـتـقـفل عـينيـه بالتراب، تراب أرضنا.

الطبـــــيب: شكرا يا بآلي. إلى اللقاء في الجنازة إذن (يخرج).

بـــآلـــــي: سـمعـوا جـمـيـعـا. لا تدعـوا أحـدا يلمس أي شيء، حـتى تعـرف الشـرطة بالجـريمـة. هل هذا واضح؟

جباد يجسن: وماذا عن أصحاب المتاجر الأخرى؟ ألم يسمعوا عما حدث؟ أو...

بانونهـــون: ربما لم يسمعوا، فهم يعيشون بعيدا عنا، والأخبار تنتشر ببطء حتى تصل إلى الضواحي. وماما توكونبو هي الوحيدة التي تصل مبكرة إلى هنا.

أولـــــودي: حسنا إذن، اذهب يا بوس واحضر أسيريابو. لا.. قف، دع أوسمان يذهب بدلا منك.. فهذا ليس الوقت المناسب(*) لسلحفاة ترفع أقدامها ببطء وتثاقل! نحن نحتاج إلى السرعة!

بـــــوز(**): دعني أذهب، سأكون سريعا، أعدك بذلك!

جباد يجسن: حسنا، اذهبا معا، أنت وأوسمان، فربما تكون الأخبار من فمين أقل قسوة (يخرجان).

مـــوســـودي: سوف أذهب إلى سيسي بمبو، فقد دمر محلها(***) تماما (يخرج).

بانونهـــون: سايومي، هل ما زال لديك دراجة؟

ســـــايومي: نعم، يا بانونهون.

بانونهـــون: هل يمكنك الذهاب إلى فاتوسين إذن؟

ســـــايومي: بكل ســـرور، ســـوف أذهب لارتداء مـــلابـــس أخرى. (يخرج)

أولـــــودي: اعتقد أن بيلو خارج المدينة لمزيد من الصفقات قرب ساحل البحر.

(*) بتصرف من المترجم: فالمؤلف أشار إلى طير خاص ببيئته، وغير معروف لدينا.

(**) لم يثبت المؤلف اسم هذه الشخصية مع الشخصيات في مقدمة المسرحية، ولكننا أثبتناها.

(***) أشهر معتقل للسجناء في لاجوس.

جباد يجسن: سيكون رجوعه إلى البيت قاسيا جدا.

بـــآلـــي: وماذا عن ايليبيوت؟

جباد يجسن: آه. نعم.. ايليبيوت الكهربائي! من يعرف منزله؟

بانونهـــون: دعني أذهب بنفسي، أيها العجوز. فعندما يسمعها من فمي أنا، فربما... (يخرج)

بـــآلـــي: والآن نرسل أحدا ليخبر الشرطة.
(انفجار بضحك مكتوم) ما الذي يضحككم؟!

كـــوكـــو: الشرطة، يابآلي؟ الشرطة! (يزداد الضحك).

بـــآلـــي: هذا ما قلته!

لابـــــو: من شاكي؟

بـــآلـــي: لا من منزل أمك! (بعد غضبه تصمت الضحكات).

جـــبـــادا: ولكن يا بآلي شاكي تبعد عنا مسافة نصف يوم!

بـــآلـــي: هل قلت إنني لا اعرف المسافة إلى شاكي؟

لابـــــو: رحلة متعبة لمدة نصف يوم...

جـــوكـــو: وما الهدف منها؟

لابـــــو: أيها العجوز، لقد أتى رجال الشرطة إلى هنا عدة مرات من قبل. نحن نعرف تصرفاتهم الحمقاء غير المفيدة.

كـــوكـــو: لا اعتقد ذلك آلان.

لابـــــو: أتذكرون ما حدث في المرة السابقة؟

كـــوكـــو: نعم، مع تلك الشرطية برتبة رقيب.
(يبدأ الضحك من جديد).

جـــوكـــو: يومان طويلان من الانتظار!

لابـــــــو: وبعدها .. تظهر سيارة جيب فووووم - فووووم!
(يركض ويقف مقلدا سيارة الجيب).

كـــوكـــو: ومن خلال سحابة من الغبار!

لابـــــــو: تقفز سيدة مقطبة الجبين.

جـــوكـــو: (يقفز، مقلدا الشرطية)، آه.. ها هو المكان، يا لك من سائق غبي! كم مرة يجب علي تحذيرك بأن تضغط على الفرامل قليلا، قليلا. ولكن لا.. كل مـــرة طاخ.. طاخ.. وكـــأنك تحـــاول دهس صرصار وقتله!

لابـــــــو: تنتبه إلى ما يحيط بها.

جـــوكـــو: (تعطس بشـدة) اتشـو! هذا الغبـار اللعين! ألا يوجد أي تقدير للبدلة الرسمية! أيها الرقيب!

لابـــــــو: ويقـفـز الآن الرقيـــب بـدوره مـــن العـربـــة (يقفز جبادا مقلدا العريف).

جـــبـــادا: جاهز يا سيدتي لأداء الواجب.

جـــوكـــو: منديلي!

جـــبـــادا: (يقدم التحية العسكرية) جاهز، بارك الله في سيدتي!
(من الآن فـصـاعـدا، ومنذ بداية التـحـيـة العـسكرية، يشـارك الجـمـيع بهـذا الطقس الجديد).

جـــوكـــو: افتح عينيك جيدا! ولا تغفل عن أي شيء إطلاقا!

جـــبـــادا: جاهز، بارك الله في سيدتي!.

جـــوكـــو: (يرى رجلا يمر أمامه) أنت! تعال إلى هنا!

كـــوكـــو: (ساخرا، يلاعبه). أنا؟

جـــوكـــو: في الحال! تقدم في وضع استعداد.

كـــوكـــو: ولكنني لم؟

جـــوكـــو: استسلم!

كـــوكـــو: عذرا ماذا قلت يا سيدتي؟

جـــوكـــو: رجل كبير مثلك، ولا تعرف أن الناس لا تقدم أعذارا للقانون، بل رشوة! لا تضع وقتي أكثر من ذلك، أتسمع؟ استسلم بسرعة.. بسرعة!

كـــوكـــو: إني لا أفهم ما تقصدين؟

جـــبـــادا: سيدتي تقول أرنا خصائصك! أقصد أعطنا هويتك؟

كـــوكـــو: آه.. فهمت.

جـــوكـــو: اخرس! القانون وحده الذي يفهم، عندما يستلم الرشوة! آه لقد عرفت منذ رأيتك أول لحظة، بأن لديك عينين مثل عيون السجناء في معتقل (كيري كيري)(*). أو تكون آخ لأنيني)(**). اخرس.. أرني.. هوياتك!

كـــوكـــو: هويا!

جـــوكـــو: (مقاطعة اياه) أيها العريف!

جـــبـــادا: جاهز(***). بارك الله في سيدتي.

(*) أشهر معتقل للسجناء في لاجوس.

(**) من أشهر اللصوص في نيجيريا، وقد أعدم بالرصاص.

(***) يمكن إصدار أي صوت، أو استخدام أي كلمة تعبر عن الاستعداد العسكري الأحمق.

جـــوكـــو: اكتب، المتهم يعترف بأنه ليس لديه هوية.

جـــبـــادا: (يكتب بصعوبة بالغة) هووو يـ يـ يـ هـ هـ محـ محـ د د د ه ه ه..! جاهز، بارك الله في سيدتي!

كـــوكـــو: ولكنني أنا لست..

جـــوكـــو: اخرس! فالقانون سوف يعطس! (تعطس)، والآن قل لي. لماذا فعلت ذلك؟ اعترف الآن! الآن! وأعدك بأن سجنك لن يكون طويلا! على الأقل أنا ألتزم بوعودي، ما داموا يدفعون لي بكرم. أليس كذلك أيها الرقيب؟

جـــبـــادا: جاهز، بارك الله في سيدتي!

كـــوكـــو: اعذريني يا سيدتي، إن كنت تتحدثين عن جريمة السطو هذه.

جـــوكـــو: سجل ذلك بسرعة أيها الرقيب! وإلا لن تكون هناك ترقيات قادمة. وأنت اعترف بكل شيء! كل عدد شركائك؟ من الذي أطلق النار؟ من هرب بالوديعة؟ وأين الآخرون الآن؟...

كـــوكـــو: مع كل الاحترام يا سيدتي... أنت مخطئة.

جـــوكـــو: ماذا أنا إذن ملعونة!

كـــوكـــو: آه (بنفاد صبر) كيف أكون لصا، وقد سرقت ممتلكاتي مع الآخرين!

جـــوكـــو: لماذا لم تقل ذلك من قبل؟ أنتم أيها القرويون في غاية الحمق! وتضيعون وقت الحكومة سدى! أيها الرقيب، اقبض على هذا الرجل.
هيا عقوبته الجلد.. هيا اجلده!

لابـــــــو: (متدخلا) أسرع كوكو، المعتاد!

كـــوكـــو: (مهدئا الرقيب) حسنا، سيدتي الرقيبة! إنك تغضبين بسرعة! تعالي لنذهب إلى تلك الحانة ونناقش الأمر!

جـــوكـــو: ومن الذي سيدفع الحساب؟

كـــوكـــو: أنا مواطن أحترم القانون، وأحد مبادئي الا أجعل القانون يعطس.

جـــوكـــو: آه! الآن هذا أحسن، أيها الرقيب، أطلق سراحه، توقيف بطريق الخطأ، كالعطس تماما!

جـــبـــادا: جاهز، بارك الله في سيدتي!

(ضحكات عالية ومتداخلة، ويبدأ أحدهم بالغناء أغنية بعنوان «كالعطس» ومع تحفظه يشارك بآلي بالغناء تدريجيا، بانونهون يعود ويشارك في هذا اللهو):

أغنية «العطس»!

«كالعطس! كالعطس!
رجال القانون يقولون، لا يوجد حمير.
ولذلك يركبوننا، يركبوننا
ولذلك يركبوننا، يركبوننا
يركبون على ظهورنا
حتى نصرخ: أتشوو!
كالعطس! آه كالعطس...»

- (موسيقى طبول)...
«يكدح البعض من أجل المال.
كي يصادرها الآخرون، أو يسرقونها.
البعض ينتظر العقود
البعض ينتظر العمولات
أو يمتصها من عرقنا
حتى نصرخ: أتشوو!
كالعطس، آه آخ...»
- (موسيقى طبول مثل السابقة)
«ولكننا سنقطع يد اللصوص
عندما نختار حكومتنا بأنفسنا
يجب أن نواجههم ونقاتلهم
نواجههم ونقاتلهم
ونغرس القانون من أجل العدالة
ثم نصرخ: أتشوو
كالعطس! آه آه آخ»
(مزيج من نفس الطبول والأصوات)
«يجب أن نسحقهم من أجل الغد
والآن نحن الذين نضحك!
أتشوو! أتشوو. كالعطس!»
(يعود الطبيب يرافقه القنصل فيقف الغناء والضحك).

القنصل: (ساحرا) أرجوكم. استمروا. لا تجعلوا وصولي يقطع احتفالكم، بل أرجو السماح لي بالمشاركة. وأعتقد أنني وصلت في الوقت المناسب لألحق بالاحتفال.

بآلي: أيها القنصل.

القنصل: (مقاطعا) لا تزعج نفسك بالتفسير أيها العجوز، لقد سمعت كل شيء، وأتيت لأهنئك! لقد أثبت مرة أخرى أنك مزارع بارع، وتستحق جائزة هذا العام! وهذا فخر لنا بأن يكون زعيمنا المحلي هو الذي حصد كل هذا المحصول! (مشيرا إلى الدمار المحيط بالجميع).

بآلي: في لحظات مثل هذه، عندما تكون الأزمات.

القنصل: أزمات؟ بالتأكيد لا تقصد هذا اليوم؟ فاليوم يجب أن نرقص ونضحك احتفاء بك، مثلما كنت تفعل قبل قليل. وكما يفعل زعيم في ساعة انتصاره!

جباد يجسن: أيها القنصل، أنت تعلم بأنك لا تستطيع التحدث إلى العجوز وكأن فمك مليء بالغبار!

القنصل: إنه ليس غبارا يا جباد يجسن، الذي في فمي، ولكنه دم! شربته وتذوقته ساخنا من عنق رجل مذبوح! أولديك شك، أيها العجوز، بأن ما نجنيه الآن هو ثمرة سياستك الماكرة؟

بآلي: أيها القنصل إن هموم الناس هي شأني! إنني أحمل حياتهم - وحياتك أنت أيضا - على صدري، كما فعل والدي من قبلي. إنها مسؤولية نتحملها منذ قرون.

القنصل: إنني أتكلم عن هم بسيط. أمن الناس يا بآلي! عن حقهم في الذهاب إلى النوم ليلا، وإحساسهم بأنهم يستطيعون الاستيقاظ في الصباح التالي دون إحساس بالخوف! أنا لا يهمني سياسة القصور، أو ملابسك المهيبة! المعذرة، لأن هناك مناسبات أخرى للحديث عن ذلك، غير لحظاتنا الجريحة هذه! أعتقد بأنه قد آن الأوان لإزاحة حمل هذه المسؤولية المتوارثة منذ قرون عن صدرك.

(أصوات متداخلة تعبر عن الدهشة تقاطع القنصل).

أولودي: ماذا تقول أيها القنصل؟ هل تعني فعلا ما سمعناه؟

جباد يجسن: وتقول ذلك في وضح النهار.

القنصل: أنا صوت أولئك الذين انتخبوني، ولذلك فأنا أكرر ما قلته.

بانونهون: لا أستطيع تصديق ذلك أيها القنصل! ما الذي يخبئه لنا هذا اليوم، إذا بدأت هذا الصباح بهذه النبوءة المشؤومة؟

القنصل: وماذا عن ذلك الدم الذي لطخ هذا النهار يا بانونهون؟ إنكم جميعا تلومونني! لقد قتل رجل، وخربت ممتلكات آخرين، والمدينة يسودها الخوف، ومع أن آرنجندن قدم اقتراحا إلا أنه رفض، لقد كان من الممكن أن يمنع حدوث ذلك،

وينقذ حياة الرجل، وينقذ ممتلكات الناس في هذا المجتمع! ولكنك فرضت سلطتك معتمدا على التقاليد، ورضينا نحن بغباء أن نترك أنفسنا تحت رحمة اللصوص!

جباد يجسن: اسمع أيها القنصل.

القنصل: (مقاطعا) سلطتك! هذا كل ما يهمك، أليس كذلك؟ إنك تخاف أن تفقد سيطرتك الموروثة على الناس! ومع أن رعيتك كان يتهددهم الخطر، كنت أنت لا تفكر إلا في ما يهدد عرشك.

أولودي: وأنت أيها القنصل صاحب الكلمات الكبيرة ماذا ترى؟

القنصل: أنا أعرف يا أولودي أن الناس انتخبوني، لأنهم يريدون الحياة، وليس الموت موسميا بشراك الصيادين العشوائية! ولأنهم يودون النوم دون أن تزعجهم كوابيس العنف! ويرتادون الشوارع بأمان، دون الوقوع في شباك المجرمين! كيف يكون لحياتهم أي معنى، بينما اللصوص يسيطرون على أحلامهم وأفكارهم.

بآلي: ليس من تقاليدنا الرد على مهاترات شخص متهور، أيها القنصل. إنني أتحمل غضبك لأنك مدفوع برعونة الشباب، التي تجعلك لا ترى سوى مظاهر الأحداث الخارجية. تحدث إليه يا أولودي، كلمه حتى يسمع الآخرون من أمثاله ويملأون آذانهم من هذا الحديث.

أولـــــودي: ما يقصده الشيخ أيها القنصل هو أن أمثالك لا يرون سوى الخطر الذي يمثله هؤلاء اللصوص بينما مشاكلنا ذات أبعاد أعمق من ذلك بكثير.

القنصل: هل تعتقد ذلك؟

أولـــــودي: اهدأ أيها القنصل! لو كان لديك بصيرة لترى ما تخفيه تحتها الأشياء.

جباد يجسن: تحت هذا السطح من الغبار مثلا.

أولـــــودي: تصور، أيها القنصل لو أن السماوات التي تغطي هذا العالم تهدد بالانهيار، هل يستطيع أي منا أن يوفر الملجأ في عالم يسحق بالكامل.

بانونهـــون: في تلك اللحظات التي يتحول العالم إلى قطع متناثرة، لا يمكن أن يكون لموت فرد واحد أي أهمية.

القنصل: ليس بالنسبة إليَّ يا بانونهون، فأي حياة لها أهمية في كل لحظة.

بانونهـــون: لا بد أن تقصد كل صوت انتخابي.

القنصل: لن تستطيع استدراجي كي أغضب.

أولـــــودي: هذا الموسم محمل بالشؤم. لقد أعلنها العراف «أفا» قائلا «عند كل هبوب ريح، أو نفخة غبار، سيأتي الموت طائرا». ولذلك يجب أن نطرد الموت خارج حدودنا. وإلا فإن نهايتنا ستأتي قبل موعدها المعلوم.

بانونهـــون: نحن لسنا بأصنام أيها القنصل. فنحن أيضا نعاني بسبب مشاكل أصدقائنا، ولكننا نحتاج للوقت لإقامة الطقوس المناسبة.

القنصل: ولكني ليس لدي أي وقت أضيعه، أتفهمون؟ إن الوقت مثل الرياح التي تعصف بحياة الناس الذي منحوني ثقتهم.

أولودي: والرياح قوية عاصفة.

القنصل: إن الرياح قوية ضدنا، تسحقنا تحتها، ولكننا نقاومها بسواعدنا، حتى نقف على أقدامنا، وندفع بصدورنا إلى الأمام. وعند ذلك نصبح نحن أقوياء أيضا في مواجهة الريح! أن نبوءتك لا تحقق حاجاتنا الملحة.

بانونهون: يا له من طفل! يا له من طفل!

القنصل: كف عن ذلك يا بانونهون، فأنا أب لأطفال مثلك تماما!

بانونهون: حسنا، الطفل يتباهى بثيابه الجميلة، أكثر من تفاخره بثياب آبائه، ولكن افترض بأن ما نحتاج إليه هو ثياب رثة، ماذا سيكون موقفه حينئذ؟

أولودي: لا أفهم كيف يمكن لأحد الحديث عن القوة دون الاعتماد على وحي السماء.

القنصل: يمكنه ذلك حتى يمسك ببندقية بين يديه!

بآلي: إنك تدهشني أيها القنصل! وماذا عن القانون إذن؟

القنصل: إن القانون شبيه بالحرباء فهو يتكيف حسب متطلبات القوة!

(تسمع بعض هتافات المواطنين)

بآلي: هناك قانون واحد فقط، ذلك الذي أقسمت بأن تدافع عنه!

القنصل: لقد كان قسمي يا بآلي، أن أخدم الناس باستخدام القانون كسلاح، ولكن عندما يصبح هذا القانون عائقا أمام أداء خدماتي للناس، فإنه يجب أن يغير!.

(تسمع الهتافات ثانية)

بآلي: (يخاطب الجماهير بغضب) اصمتوا! يبدو لي بأن آرنجندن قد خرب عقولكم جميعا!. تذكر أيها القنصل أن الخوف شيء والحرية شيء آخر. وأن هناك أناسا يسبحون مع تيار النهر، بينما يسبح آخرون ضد هذا التيار.

القنصل: (مقاطعا) وهناك أيضا أولئك الذين لا يسبحون بالمرة!!

جباد يجسن: أيها القنصل.

القنصل: (مقاطعا) كفى، لقد سمعت ما فيه الكفاية! اختبئوا وراء نبواتكم، أو احتموا خلف «القانون»! ولكن عندما يتطاير الرصاص لا تقولوا بأنكم لم تتذروا!.

بآلي: شكرا لك، ولكنني أحملك إنذارا أيضا يمكنك أن تقوله لصديقك آرنجندن المتعطش للدماء، إن هذه المدينة لم تعد تتحمل أمثالكما! إنني أكرر ما سبق ان قلته، بأن هذه مدينة، وليست ميدان معركة، إننا أناس متحضرون هنا! وما دامت هذه القبعة على رأسي، وقدماي ترتديان هذين النعلين المصنوعين من الخرز، واللذين ارتداهما

اجدادي من قبلي، فإنه لن يكون هناك إطلاق أي رصاص. والجريمة سيتم التحقيق فيها، ويعاقب الفاعل بقوة القانون. ولن يتغير إيقاع حياتنا المحكومة بنظام الفصول، كما رسمتها القوى الإلهية! هذا كل ما لدي أيها القنصل، والآن اتركنا بسلام.

(يخرج القنصل غاضبا، ويتبعه بعض مشجعيه. بينما يبدأ المداح (المغني)، أغنية لتهدئة بآلي).

الدكتور: (متقدما باتجاه بآلي) أرجو المعذرة يا بآلي.

بآلي: تكلم يا بني.

الدكتور: أعتقد يا بآلي بأن فكرة آرنجندن...

بآلي: نعم؟

الدكتور: ربما تكون الفكرة ليست سيئة إلى هذا الحد... لو...

بآلي: شكرا لك أيها الطبيب، لقد سمعت بما فيه الكفاية!

الدكتور: إذا كنت تقول بأن وحي السماء يؤكد أن الكوارث قادمة، فمن المؤكد بأن واجبنا مقاومتها بكل ما...

أولودي: (مقاطعا) نعم بكل طاقاتنا أيها الطبيب... تلك التي جُربت من خلال الشعائر والأضاحي! في الاحتفالات التي وجدت منذ قدم الأرض التي تقف عليها الآن.

هل تجرؤ على القول بأن ذلك غير كافٍ؟

الطبيب: ولكن آرنجندن يقتر...

أولودي: (مقاطعا) لا داعي للاستمرار أيها الطبيب! لقد

استمعت إلى الشيخ منذ قليل! نحن هنا لسنا برابرة! ولسنا حيوانات! لا يمكن إطلاقا أن نعلم أبناءنا فنون مطاردة البشر وقتلهم! دع آرنجندن وأمثاله من الرجال يبحثون عن مكان آخر لإرواء تعطشهم للدماء!

الدكتور: ولكن... استمع إلي.

بآلي: أيها الشاب، إنني معجب بك لأنك تؤدي واجبك باخلاص. إن عملك هو شفاء الناس، ولديك الكثير لتعلمنا إياه. ولكن لا يحق لأحد مثلك، يعرف فن شفاء الناس، أن يدافع عن أعوان الموت! مع السلامة (يخرج الدكتور).

جباد يجسن: كأننا قسونا عليه قليلا!!

بآلي: دعنا نذهب.

بانونهون: إنه ما زال شابا غريرا، ولا يقصد شرا.

بآلي: ولذلك، فأمثاله هم الذين يجب أن نقسو عليهم. قليل من الحزم، وإلا فإن الريح ستعصف برؤوسهم! انظر، إنهم ينادون الآن بالتسلح بحمل البنادق والكثير من البنادق! يا للهلع! ألم ترتبط الكوارث دائما، بالفوضى؟ كيف يمكن لنا تطبيق القانون من خلال تجاهله؟ إن الوحي السماوي وجد لحل خلافاتنا مع الآلهة، أما لحل صراعاتنا مع إخواننا فإننا نلجأ لقانون.

جباد يجسن: (مقاطعا) نعم، ولكن للأسف فرجال الشرطة، الساهرون على تطبيق القانون، يتساهلون في ذلك.

بـــآلـــــي: دعني أسألك، كيف تبدأ العاصفة التي تدمر مبنى بأكمله؟

أولـــــودي: بنعومة، إنها تبدأ بنعومة مثل النسيم!

بـــآلـــــي: شكرا لك، إن الأمر لا يختلف في حالة الطغيان. دعنا نغادر الآن ...

بانونهـــون: منتهى الحكمة! الحكمة!

جباد يجسن: بدأت الآن أفهم...

بـــآلـــــي: الحرية يا جباد يجسن، وأنتم أيها الآخرون... عزيزة، فكروا بهذه المدينة كجسد له أذرع وأرجل، وتربة لعادات متوارثة، والقانون هو لحمة. إنها تسير مثل انسجام الأغنية وانضباطها، وأرواحنا هي زيوت عجلاتها المتحركة. ارفعوا أذرعتكم عاليا، وأسقطوها ثانية، الحرية هي تلك الراحة عند اتخاذ القرار. ولكن في ساعة القلق، لا نفكر إلا في خوفنا، فنصرخ، ونضرب الأرض بأقدامنا، ونضحي بحرياتنا على مذابح هذا الخوف، إن الحرية أدق شيء، وبمجرد موافقتنا على التخلي عنها، أو تمزيقها - ولو قليلا - فإن جيلا كاملا، وربما أكثر، عليه أن يريق دماءه من أجل بنائها من جديد. أيها الشيوخ، الجالسون في مجلسنا، يجب أن تعرفوا الثمن الفادح الذي تتطلبه الحرية!

جباد يجسن: نحن نعرف، أيها الشيخ، ولكن الناس غير مقتنعين، إنهم يريدون...

بـــآلـــــي: كـالعـادة، فـإن النـاس سـوف يصـدعـون رؤوسنا، ولكن قـدرنـا الدائم أن نكون فـي صـلابة الجيـاد لنـواجـه الأعـراف المعـهـودة! إن الديك يجب أن يقـبل التـحـدي الذي يفـرضـه عليـه زهو عـرفـه الناري! إن الوحي السماوي كان واضحا بالأمس. زيدوا عدد الحـراس الليليـين، وزودهم بالأسلحـة، كمـا طلب آرنجندن، وبذا تمنحونهم سلطة الموت ومن يعلم، فـربمـا نبـدأ عندئذ رحلة طويلة في عـالم الظلام! أيهـا الشـيـوخ إن واجـبنـا أن نكون منارة ضـوء حـتى ولو كـان ذلك مـصـدرا لآلامنا. والآن يجب علينا أن نرحل... فقد كانت...

(عـدد من الأشـخـاص يدخلون جـريا من عـدة اتجـاهـات، إنهم التـجـار أصـحـاب المحـلات المحطمـة، بيـمـبـولا، واوريسـاتوبا، وفـاتوسن، وإيليبوتي. وآخـرون، ومعهم جمع غفير من الناس ومن الكلمـات التي نكاد نفـهـمـهـا من بين صيحـاتهم: «محلي» و «سـرقت»؟ «مـا الذي فعلته كي أغضب أبي في تـربتـه» و «اللصـوص» و «لقـد قضي علي» ... إلخ، يتـحـركون بسـرعـة وغضب داخلين إلى المحـلات، وخـارجين منهـا، إلى أن يواجهوا «بآلي» وأتباعه).

بـــآلـــــي: استمعوا إلي ... اهدأوا! تجلدوا ... تجلدوا.

أولـــــودي: المهم أنكم ما زلتم أحياء...

جباد يجسن: ما دمتم أحياء، فالأمل ما زال موجودا.

بانونهـــون: فاتوسن! إنك رجل...

فـــاتوسن: (مقاطعا) لا...! يابانونهون، أنا انتهيت ... انتهيت... سوف أموت.

بيـمـبـو(*): كل شيء في المتجر، وخاصة تلك الملابس الثمينة، التي لم أدفع ثمنها بعد، ولم تخرج من صناديقها، آه ... ومجوهراتي ... سانجو انتقم لي منهم يا سانجو، اقبض عليهم من أجلي ... دمرهم ...

أوريســـا: أربع وأربعين دراجة كلها جديدة (يريهم السلاسل المكسورة).

لقد حطموا القفل، انظروا، لقد دمروا حياتي!

فـــاتوسن: ياليتني احترقت بالنار وتحولت إلى رماد، أو أو صدمتني سيارة وقتلت في الحال، ولكن هكذا ... هكذا.

إليـبـوتي: جميع أجهزة «الستريو»! آه، إن هؤلاء اللصوص أشرار! جميع أجهزة التلفزيون، وكل شيء! إن الإله «أسيو» يعاقبني مرة ثانية. آه لقد انتهيت!

بيـمـبـولا: آه كم طلبت من والدتي ألا تخلد للنوم في قبرها بسرعة، كان يجب أن تترك عينا واحدة مفتوحة دائما لحراستي: أماه لماذا هجرتني اليوم؟

(يحاولون تهدئتها)

(*) يبدأ المؤلف باختصار اسم المرأة من «بيمبولا» إلى «بيمبو».

فـــاتوسن: أيها الشيوخ. إنكم توقظونني وتربتون على كتفي قائلين إن كل ماحدث هو كابوس فظيع!

بـــآلـــي: هناك طريقة واحدة للتغلب على الخوف، أقول لكم اهدأوا.

أوريـــــا: نعم، من السهل قول ذلك، أليس كذلك؟ من السهل الوقوف هناك ومن السهل قول «اهدأوا»...! يا للهدوء!

إليـبـوتي: كل مدخرات حياتنا يا بآلي.

بـــآلـــي: (صارخا فيهم) نعم، أعرف ذلك! جميع مدخرات حياتكم!
استمعوا إلي! وماذا عن لاميدي ... نعم لاميدي!

أوريـســـا: آه ... أجل ... الحارس الليلي؟

فـــاتوسن: أين هو؟ أين اختفى ذلك الجرذ؟

بيـمـبـولا: أين كان ذلك الأحمق عندما حدث كل ذلك؟

إليـبـوتي: نائما بالطبع كالعادة! مع كل ما ندفعه له من أجر!

أوريـــــا: أخبرنا، أين يختبئ يا بآلي؟ أتمنى أن أتحدث إلى هذا الظربان!

بـــآلـــي: (بهدوء) كل حياته.

فـــاتوسن: ماذا؟

بـــآلـــي: حقيقة أنكم فقدتم بضائعكم وأرباحكم، ولكنه فقد حياته كلها (صدمة جماعية). كان يحرس بضائعكم الغالية جدا، فأتوه وذبحوه وتركوه ملقى هناك، إن ما ترونه هناك ليس ماء ولكن

دماؤه (ينخفض لصواتهم) ستقام جنازته في القصر ظهر هذا اليوم، واتوقع حضوركم جميعا! هيا بنا.

بيمبولا: (تعترض طريقه) ولكن أيها الشيخ.

(يدخل المدرس أيبندي ترافقه يوبي، وهما في حالة ارتباك ظاهر)

بآلي: (يقف) نعم، إني مصغ إليك.

بيمبو: وماذا عن مصيرنا؟

بآلي: وماذا عن مصيركم؟

بيمبولا: من الذي سيقوم بتجهيز جنائزنا نحن؟

بآلي: إني لا أفهم ما تقصدين؟!

بيمبو: ألا تعرف أن ما حدث يعني موتا بالنسبة إلينا أيضا!

بآلي: أنا.

فاتوسن: (مقاطعا) إنها على حق أيها الشيخ. إن هذه السرقة أكبر من سكين في الرقبة. ويمكنه الراحة منذ الآن، والميت لم يعد لديه ما يقلقه، ولكننا نحن الذين يجب أن نعيش ونطعم أولادنا.

بيمبو: نرعى العجائز والمرضى، آه قريبا سيأتي عيد الفصح، وهو ميعاد استبدال سقف كوخ والدي بصفائح المعدن بدلا من القش، كما وعدته. إن والدي شيخ عجوز أيها البآلي، وموسم **الأمطار** سيبدأ قريبا جدا ... آه يا إلهي...

إليـــبـــوتي: انظروا، هـا نحن في منتصف الطريق وجـيـوبنا خـاوية. بينـمـا بـالأمس فـقط، كـان أي واحـد منا قادرا على شراء المدينة بأسرها!

بيـــمـــبـــو: إذن ماذا عن مصيرنا، ومن سيقوم بدفننا؟!

أيـــيـــنـــدي: النسور (ينفجر في الضحك بقوة)

أوريـــــــــا: إنه المعتوه ثانية!

فـــــاتوسن: ماذا قلت يا أضحوكة المدرسة؟!

أيـــيـــنـــدي: لقد قلت النسور، من سيدفنكم غيرهم! من الذي يتغذى على الجيف سوى النسور.

أوريـــــــــا: من هم الذي تدعوهم بالنسور؟

يـــوبـــي: (مقاطعة) أرجوك يا أييندي ... لقد وعدتني...

بيـــمـــبـــو: أبعدوه من هنا!

إليـــبـــوتي: هل أصبحت تهتم بكلام معتوه الآن؟

أيـــيـــنـــدي: أولئك من سيقومون بدفنكم أجمعين، أنتم نسور مـثلهم لأنكم تقـتـاتون على لحـوم البـشـر، ألم تلتـهـمـوا هـذه المدينة لسنوات طويلة، وتبـتلعـوا أحسن ما فيها داخل أمعائكم النهمة.

أوريـــــــــا: أيها البآلي...

فـــــاتوسن: إلى متى ستدع هذا الماعز مرتدي البنطلون يتكلم؟ لماذا تسـمـع له؟! هناك حـدود لكل شيء، بما في ذلك الجنون! ولو استـمـر على ذلك يا بآلي، فإني لا أضمن أعصابي. كلمة أخرى فقط و ...

يـــوبـــي: (مقاطعة) دعنا نذهب يا أبيندي، دعنا نذهب الآن.

أبـيـنـدي: اتركيني يايوبي، هل أنت خائفة منهم؟ إن الدجاج فقط هي التي تهرب من الصقور! دعيني أرقص، وأريهم سعادتي لأن متاجرهم قد سرقت! (أغنية: الأيام جميعا في صالح اللص)، ولكن يوما سيكون لصالح صاحب البيت ... ولا بد أن يقبض على اللص عاجلا أم آجلا. إن هؤلاء الذين لم يفعلوا شيئا طوال هذه السنين سوى إتقان فن السرقة، الآن أتى دورهم كي يُسرقوا! يجب علينا الاحتفال بهذه المناسبة!

بـــآلـــي: أبيندي

أبـيـنـدي: هؤلاء النسور هم الذين وجدو عمدا الاحتكار والتضخم، وذلك كي يبتلعوا أوراق النقد بشكل دائم ... دعهم يحترقون الآن ...!

أوريـــــا: أمامك يا بآلي .. أمامك، وبحضورك...
(متجها بحقد إلى أبيندي)
(الأصوات تدعو للهدوء)

جباد يجسن: اهدأ ... تمالك نفسك يا أوريا توبا.

إليـبـوتي: كيف نهدأ؟ وفمه ينساب مثل المجاري المفتوحة.

يـــوبـــي: أبيندي ... دعنا نذهب.

فـــاتوسن: سوف يدفع ثمنا غاليا لذلك، وإلا فليس اسمي فاتوسن!

إليـبـوتي: نهدأ وهذا الشخص القذر، المجنون الذي تتلقاه

الأزقـــة، هـذا الـذي لا يصلح لشـيء إليك هـذه (يصفعه بقوة).

فـــاتوسن: وهذه!

أوريـــــا: وهذه أيضا.

بيـــمـــبـــو: أيها الفأر القذر المجنون!

(أبيندي يهرب متفاديا الضرب ويتختبئ خلف بآلي)

جباد يجسن: أوقفوا هذا الآن .. ابتعدوا دعوه ... دعوه.

فـــاتوسن: يجب أن يعاقب لما قاله لسانه.

يـــوبـــي: اهرب يا أبيندي اهرب!

بـــآلـــي: إليبوتي! فاتوسن! أيحدث هذا أمام عيني وبحضوري؟

بيـــمـــبـــو: لقد سمعته أيها الشيخ؛ ولم تمنعه.

بانونهـــون: طفل، هو ليس أكثر من طفل!

أبـيـنـدي: (صـارخـا) أكلتم لحم الفـقـراء إلى العظام، بأسنانكم القـاتلة، قطعـتـمـوه قطعـة قطعـة بمناقيركم الطويلة النهمة. لعل ذلك اللحم يصبح فجأة أكفانا لكم؟ في خريف أعماركم!...

فـــاتوسن: آه ماذا أسمع؟ لعنة أخرى؟

إليـبـوتي: لعنة في الشمس الحارقة! لماذا يا أصدقائي نضيع وقتنا بالتساؤل عن كيفية دخول اللصوص؟ من الواضح أنه واحد منهم.

أولـــودي: لا تكن سخيفا.

إليـبـوتي: لابد، انظروا كيف يضحك!

فـــاتوسن: بيـمـبـو، أوريا توبا، إليـبـوتي! إنه واحـد منهم،

ولذلك يجب أن نلقنه درسا! حتى لو لم تسترجع المسروقات منه!

التـــجـــار: اللص ... السارق، اقبضوا عليه! دعوه يدفع الثمن! لا تدعوه يهرب!

يـــوبـــي: لا، إنه ليس لصا أقسم على ذلك!

(تدفع جانبا)

إليـبـوتي: اقبضوا على اللص، لا تدعوه يهرب!

بيـمـبـو: اليوم يومك، أيها الخجول!

فـــاتوسن: كما فعلوا بلاميدي، حياة مقابل حياة، أمسكوه.

(يقوم التجار وأتباعهم بإغلاق الدائرة على أبيندي من جميع الجهات، متجاهلين محاولات الشيوخ لإنقاذه)

يـــوبـــي: أرجوك أيها البآلي أوقفهم سوف يشنقونه!

أبـيـنـدي: لحم الـ ... الـ... فقراء ...

(يطبقون عليه ويختفي صوته تدريجيا ... ونرى فمه يفتح ويغلق تلقائيا كالحيوان الذي وقع في المصيدة، ولا نسمع عدا أصوات مبهمة تخرج من فمه، ويتضح الرعب الآن أكثر على قسمات وجهه. يقطعون قميصه، ويضعون قطعة منه في فمه لمنعه من الصراخ، وبسرعة - وكأنهم سبق وتدربوا على ذلك - يقيدون يديه ورجليه. وتقام منصة من الطاولات والصناديق الملقاة بالساحة، ويحمل، ويوضع عليها. ويطلب أحدهم بنزينا وأعواد ثقاب،

فيخرج اثنان يركضان لإحضارهما، ويزداد عدد الحاضرين تجذبهم الإثارة والأصوات، وكأنهم يشاهدون مبارة كرة قدم، ويطلق آخرون صيحات التشجيع وخاصة (ماما توكونبو) وتظهر يوبي وهي تحاول اختراق المجاميع بجنون، ولكنهم يقبضون عليها بدورها ويمزقون ملابسها وهم يضحكون بجنون، ثم يلقونها بجانب إيبندي، ويحيطون رأسيهما بإطارات مستعملة، ويبدأ بعض المتجمهرين في الغناء).

«أنشودة الشنق»

«الحمل الذي تحدى النمر
وذهب ليبول في الأدغال (ورمى الأوساخ على دغله)
مهما فعل النمر له
لن يعود يروي ذلك
وفأر المنزل الذي أهان القط
وذهب لينام في الردهة
لا بد أن يودع أحلامه
لأنه نام نومته الأخيرة
الطفل الذي أهان التماسيح
وذهب للسباحة في الأنهار
الطفل يغامر بحياته
ويعبث بها في غباء»

(وأخيرا تم إحضار وعاء للبنزين ومعه ثقاب، ويطلق الجمهور الهتافات، وهم يصبون البنزين على المنصة، وعلى الضحيتين، ثم يشعل أحدهم النار وينفخها لتكبر.

وفي اللحظة التي كانت النار ستلقى على المنصة والجمهور، يتراجع الجمهور خوفا من الاشتعال، ترفع يوبي رأسها وتصرخ: أبي، أبي!

وتلتفت الجماهير لترى القنصل واقفا وراءهم، فيهدأ الشغب، وتنخفض الأصوات في الحال، ويظهر آرنجندن والدكتور مع القنصل، وآرنجندن يعرف آلته الموسيقية).

القنصل: أطلقوا سراحها.

يوبي: (تنزل من المنصة راكضة وتتجه بآلية ناحية القنصل) أبي ... آه أبي!

(تسقط أمام قدميه، ولكنه لا ينظر إليها، بل يحدق بالمنصة حيث مازال أبيندي موجودا، لحظات من الصمت).

القنصل: أطلقوا سراحه.

(ينطلق بعض الأشخاص لتنفيذ أمره)

يوبي: (في حالة شبه انهيار، تغني كالأطفال)

أنا خلد ...

ألا تعرفون؟

أحفر الأرض

بين الصخور

أيـــيـــنـــدي: (محاولا إيقافها) يوبي ... يوبي...
(يمسك بها، ولكنه لا يقوى على رفعها، بسبب إرهاقه، يسرع الدكتور وكوكو لمساعدتهما معا، ويأخذانهما إلى الخارج ويتوقف آرنجندن عن العزف، وتواصل يوبي غناءها الطفولي وهي تسير إلى الخارج).

يـــوبـــي: ابحث في داخل روحك..
حيث تخبئ ...
فضتك وذهبك...
أنا خلد أنا خلد
(القنصل يدور بشكل مفاجئ، ويبدأ بمتابعتهم خارجا، ولكن البآلي يتحرك باتجاهه ليوقفه)

بـــآلـــي: أنصت أيها القنصل
أيها القنصل!
أيها القنصل... لقد كنت على حق، بالتأكيد إن الناس لا يحتاجون إلى الحرية، ولكن خوفهم...
(يواصل القنصل طريقه إلى الخارج).
أخبرني يا آرنجندن، كم رجلا تريد؟

آرنجـــنـــدن: أنا أحتاج إلى كل من يريد التطوع.

بـــآلـــي: ولكن لن يكون هناك الكثير الذين يستطيعون استخدام البنادق.

آرنجـــنـــدن: أعرف ذلك، فقد ربيت أبناءك على أن يكونوا رهبانا، وموظفين. ولكن لا تقلق إذا انضموا إلي فسوف أعلمهم كيف يطلقون النار.

بـــآلـــي: سوف يكون لديك جميع الرجال الذين تحتاج إليهم.

بانونهـــون: تريث أيها البآلي ...

آرنجـــنـــدن: جميعهم تحت إمرتي، ولا أحد سواي.

بـــآلـــي: (بعـد لحظات من الصـمت) نعم تحت إمـرتك. مـوسـودي سـوف يرسل للإعـلان عن ذلك. في الحال. هذا أمر لا يحتمل التأخير.

آرنجـــنـــدن: (يتصرف كالرئيس) حسنا، إذن، هيا إلى العمل! فالظلام يكاد يغمرنا، إلى العمل ... هيا كل من يود الانضمام إلى جيشنا هذا المساء فليتقدم. هيـا ننظف هذا المكان، ونفـرض بعض النظام، إلى العـمل! إي مـفني القـرية أنت! تحـتـاج إلى نشيد، أو أغنية تشجيعية ... هيا!

(سـيـبـدأ المغني أغنيـة حـارس المدينة، ومن ثم يتبعه الجميع بالغناء).

«أغنية حارس المدينة»

«آه لنعمل جميعا بجد كجنود!
فهو العمل الذي بحثنا عنه آرنجندن
العمل أصبح ثقيلا آرنجندن
ولكننا نحن جنود القرية
أيها الرفاق، اعملوا بجد كجنود
فالعيون هي رأس الحارس آرنجندن (*)

(*) الأصل: المرض هو علاج المرض.

نحن جنود القرية!
فكما يراقب القمر السماء كالجنود
ويشق المحراث الحقل كالجنود
وتحلي أعواد القصب جدول الماء كالجنود
وكذلك نعمل كجنود القرية»

آرنجـــنـــدن: حسنا، لنبدأ العمل.

(يصفق بيديه فيتجمع الناس، يبدأ التنظيف ويرافقه لحن شبه عسكري. تحضر أدوات، ومكانس، وأصباغ... إلخ، ويبدأ الرجال بتصليح الأبواب والأرفف، بينما تقوم النساء بالكنس، والجميع يعمل تحت إشراف آرنجندن. ينسحب البآلي وحاشيته إلى جانب زاوية المكان، ويراقبون الوضع لمدة بسيطة، ثم ينخفض صوت الموسيقى خلال الحوار الآتي، بينما يعزف آرنجندن على آلته الموسيقية).

جباد يجسن: ما زلت لا أثق به.

أولـــــودي: وكذلك أنا.

بانونهـــون: اهدأوا، إنه ينظر إلى هذا الاتجاه!

جباد يجسن: أيها البآلي ...

بـــآلـــي: كلا، دعوني بعيدا عن هذا الموضوع!

أولـــــودي: أتتخلى عنا إذن؟

بـــآلـــي: عندما يربي الإنسان ثعبانا (يهز كتفيه بلا مبالاة).

أولـــــودي: لا يمكنك ذلك!

بـــآلـــــي: إذا لم يدمـــر هذا الثـــعـــبـــان، ولكنه ترك كي يكبـر؟حسنا، أنصتوا إلي عندما يقـوم آرنجندن بتنظيم جيشه هذا المساء.

نانونهـــون: نعم؟

بـــآلـــــي: أنت، يا أولودي ستكون واحدا. منهم!

أولـــــودي: أنا!!!

بـــآلـــــي: ولكن، كن حذرا، فإذا كان الثعبان لم يتذكر أباه؟ فهو معرض للنسيان إذن؟ ... عذرا، يجب علينا الذهاب، فلدينا جنازة يجب أن نقوم بتجهيزها!

(يخرج، ويتبعه الشيوخ، الذين بدأ بينهم الجدل على ما يبدو، ويرتفع صوت الموسيقى فجأة، ويملأ جوانب المسرح، وينصب لوح كبير ملون، على واجهة متجر بيمبولا، وقد كتب عليه «آرنجندن والحراس الليليون، مقر القيادة).

بيـــمـــبـــو: صارخة من خلال الضجيج، متجري! هذا متجري!

آرنجـــنـــدن: عفوا يا سيدتي، ظروف طارئة! إن متجرك أجّر لأغراض رسمية. سوف تصلك الأوراق كاملة لاحقا، وكذلك تعويض مناسب. هل هذا واضح؟ والآن اغربي عن وجهي!!!

(يبدأ بالعزف على آلته الموسيقية. بينما يتصاعد الغناء المرافق للعمل، مرة أخرى، بينما تطفئ الأنوار).

(نهاية الجزء الأول)

الجزء الثاني

(الوضع السابق نفسه، ساحة السوق: بعد عدة أشهر على أحداث الجزء الأول، يوم مشرق. على أحد الجوانب يبدو مركز قيادة آرنجندن وهو شبه مغلق، وقد أعيد صبغه من الخارج، جميع المتاجر مفتوحة، والسوق في قمة نشاطه، والباعة والمشترون يروحون ويغدون. وينزل بعض الباعة المتجولون، ويختلطون بالجمهور، محاولين بيع بضاعتهم لأفراد. فجأة يسمع قرع الطبول وهي تتصاعد تدريجيا، ويتدافع الناس لمعرفة السبب، ثم يدخل القنصل، يرافقه دوكي (الطبيب)، ويتبعهما الطبالون، فيحيط بهما الناس).

جماعة النساء: إنه القنصل!

فاتوسن: والطبيب!

القنصل: مرحبا يا أصدقائي. عندما تشاهدون الفيل، لا تتأوهوا، لقد شعرت بهبوب الريح! فملك الغابة يأخذ الغابة معه عندما يسافر!

(يبدأ بالرقص).

ماما توكونبو: مرحبا أيها القنصل. ولكن أخبرنا أولا، لماذا الاحتفال؟ هل من جديد، وربحت تذاكركم يانصيب الحكومة؟

القنصل: «اليانصيب»! آه، ها! استمعوا إليها، انظروا من التي تنتقد الآن! سيدتي العزيزة. «لم أكن راقصا جيدا طوال حياتي». لا نتوقع من عروس أن

تغني على عتبة أهل زوجها! ألا تنظرين إلى نفسك، تثرثرين كقرد الكولوبوس! ألا تسمعين الطبول؟ أوقفي كل قصصك الآن، وتقدمي إلى الأمام. إنني أود رؤية من تفوق قدماه قدمي في يوم كهذا!

(يبدأ بالرقص، مثيرا الجميع، فيبدأ أصحاب المتاجر في إغلاق محلاتهم والانضمام إلى حلقة الرقص الجماعي).

جـــوكـــو: إيه أيها القنصل، لقد اعتقدنا بأن لسانك الثعباني الذي تحركه... شعارات ووعود الانتخابات، هو وحده القادر على مواجهة تجار كهؤلاء!

الطبـــالون: توسل إليّ، أقول توسل إليَّ!
توسل إليِّ، أقول توسل إليِّ!
عندما أرفع قدما، أتبعها بالأخرى،
وأختم القول (المثل)
برفعة نهائية من الكتف...
(يهتف الجمع من جديد)

الـقـنـصـل: انتظروا، لم تروا شيئا بعد!
لم تسخن الأرض كفاية بعد. ولم أسمع نزفكم، بهدوء، بهدوء، إن حركاتكم ما زالت بطيئة...
وحتى أمهر الراقصين لدينا؟
انتظروا يا أصدقائي، لا تستعجلوا.
فالطبول لم تسخن بعد!...

الطبـــالون: هل (يبدأون بالسخرية من النساء):

«هل أنت نائمة يا سيكيرا؟

أأنت نائمة يا سيكيرا؟

لقد سمعت السيكيري

وأصوات الطبول المتحدية وما زالت مختبئة

وراء الأبواب.

تقولين إنك مرتدية ربطة الرأس:

هل أنت حمقاء يا سيكيرا؟»

ماما توكونبو: ما زلنا لا نعرف سبب هذا الاحتفال أيها القنصل ولكنك ما دمت قد أحضرت طبولك لساحة السوق، فإننا سنقبل التحدي، ماذا تنتظرن أيتها النسوة... هيا...

(تتدافع النساء إلى حلبة الرقص، ويبدأن الرقص على نغم الطبول...).

النساء والطبول: «اقترب مني...»

«اقترب مني...

رجاء اقترب أكثر

اقترب مني..

إن كانت لديك الشجاعة للاقتراب...

فسوف ألف؟

على جسدك.

مثلما تفعل الكوبرا، وأكثر!

حاول فقط أن تقترب...

افعلها وبسرعة أيضا.
مثلما تشتعل الخرقة
سوف ترقص وتحترق
مثلما يفعل المجنون
اقترب، وقدم لعبتك
لو كنت رجلا كما تقول!»
(وأخيرا يستلم القنصل)

دوكـــــــي: أيها القنصل ألم أحذرك!... ألاّ تحضر الغناء إلى السوق لأنه سيلد ولائم للراقص من الراقصين، ويتحول إلى أكثر من ألسنة زملائك السياسيين!

القنصل: إني أستسلم أيتها النسوة! فأنا ليس أكثر من عجوز مهزوم أمام شباك مهارتكن الأنثوية.

ماما توكونبو: يقول! شباك! يبدو أنه لم يتعلم الدرس اروه... ولكن بلطف... ومن دون إهانته... ليس الآن على الأقل... اجعلوه فقط يعرف تفوق النساء!

(ويعود الرقص للاشتعال من جديد، ويدخل في اللحظة نفسها البآلي، يتبعه الشيخان آيبندي ويوبي والاتباع.

بـــآلـــي: أيتها النسوة... أنا أعرف أحيانا أن الأحوال تكون جيدة في السوق ولكنني لا أتذكر، أيا من المرات السابقة، أنكن أحضرتن الطبول لتعزف بهذه القوة للاحتفال بأرباحكم!

جـــوكـــو: إن القنصل هو الذي أحـضـر الطبـالين، أيهـا البـآلي، ولكنه يبـدو أن الأمـر لا يتـعـدى ديكورا بالنسبة إليه!

بـانونهـــون: ديكورا؟

جـــوكـــو: نعم، لأنه بدا واضـحـا، أنه عندمـا وصل هنا، لم يكن يسـتطيع تفـسـيـر لغـة الطبـول، حـتى أتت النسوة لتعليمه ذلك!

(تسمع الضحكات)

الـقـنـصـل: أيها الإله سانجو... لو.

بـــآلـــي: ألهذا أرسلت ابنتك يوبي إلينا، كي نأتي ونشاهد إهانتك؟

الـقـنـصـل: بآلي، إن ألسنة النسوة! ألسنتهم تشبـه - (ينتبـه إلى أن النسـوة يراقبنه) آه... آه... تشبـه نعـومـة أقدامهن! وما يقلنه لك يجب...آه... آه... وضعه في الاعتبار! (تسمع الضحكات) ولكنك على كل حال قد وصلت في لحظة مناسبة لسماع بياني.

بـــآلـــي: بيان؟

الـقـنـصـل: نعم، باجـــوبا... اذهـب إلـى المكتب وأحـضـــر آرنجندن ورجاله!

جـــبـــادا: ولكن في هذه الساعة... أيها القنصل؟

الـقـنـصـل: نعم... وأنت أحضر بعض الكراسي للبآلي ورفاقه.

جـــبـــادا: ولكن أيها القنصل، أرنجندن ورجاله يحين موعد نومـهم الآن. فـأنت تعلم أنـهم يقظون طوال الليل لحراسة المدينة.

القنصل: ذلك طبعا! أخبرهم أن هذا البيان لا يمكن أن يُلقى دون أن يستمعوا إليه. وفي انتظار وصولهم ليبحث كل واحد منكم عن مكان للجلوس.

(تحضر الكراسي للبآلي والشيوخ، ويبحث الآخرون عن أماكن للجلوس. وينسحب أولئك الذين لا يجدون أماكن للجلوس إلى الأطراف، ويقفون للمشاهدة. وتعزف الموسيقى لحظات، حتي يظهر آرنجندن، وهو يتثاءب بقوة، ويتبعه حارس، يحمل مزماره. يبدأ آرنجندن بالصحو عندما يشاهد كل ذلك الجمع، ويسحب من الحارس آلة مزماره).

آرنجندن: ما هذا؟

القنصل: مرحبا بك يا آرنجندن، أعتذر لك، فأنا الذي أمر بإيقاظك.

ولكني أعدك بأنني لن أطيل عليك، وسيمكنك العودة للنوم بسرعة، ان استطعت ذلك!

آرنجندن: ما الأمر؟

القنصل: ستعرف خلال لحظة. رجاء تقدم إلى هنا. أفسح الطريق له يا أويا الآن!

(يتقدم آرنجندن، يناديه الطبال، ولكنه يتجاهله).

القنصل: أيها البآلي، شيوخ القرية، أصدقائي. لن أطيل فضولكم أكثر من ذلك. فهذه أجمل مناسبة للقيام بواجبي خلال جميع السنوات التي عملت

فيها قائدا سياسيا لهذه المدينة. لقد استلمت ظهر هذا اليوم رسالة، وسأدعو الآن ابننا الغريب الأطوار، والمثقف في الوقت نفسه - لقراءتها، خذها يا تيا.

(يتقدم آيبندي، ويأخذ الرسالة، ويضع نظارته ببطء وهدوء).

آيبندي: (يقرأ) إنها مرسلة من الحكومة المركزية في لاجوس!

(بعض التعليقات)

آيبندي: (يواصل استعراض الرسالة): وموجهة إلى رئيس مجلس منطقتنا... إنها موجهة إليك أيها القنصل.

القنصل: اقرأها. كلها (هدوء).

آيبندي: سيدي العزيز، لقد طلب مني أن أعلمك، وبناء على توصيات رئيس الدولة، ورئيس المجلس الحاكم، أنه قرر اليوم (يبدأ استعراض بقية الرسالة بعينيه بسرعة وتأخذه الدهشة) آه...!

القنصل: أكمل قراءة الرسالة يا تيا!

آيبندي: «... قرر اليوم مكافأة، أحدأبناء أمتنا، بأعلى الألقاب وتعيينه مأمورا قضائيا للجمهورية الفيدرالية «ر ج ف». وقد أعطي هذا الشرف لابنكم، السيد جبغوندي.

الجميع: آرنجندن!

آيبندي: وذلك ل ... (وتتلاشى كلماته وسط ضجيج المجتمعين وصراخهم، وهتافاتهم باسم

«آرنجندن»، الذي يرفع على الاكتاف، وتدور به ومعه المجاميع في رقصة مرتجلة، وأخيرا يعاد إلى المكان الذي يجلس فيه البآلي والشيوخ).

جباد يجسن: إنك رجل سيئ أيها القنصل! أتقصد أن هذه هي فقط الأخبار التي كنت تخفيها!

بـــآلـــــي: يا بني، إن هذه لحظة سعيدة لنا جميعا! إنها المرة الأولى في تاريخنا الطويل، التي تمنح فيها مثل هذه الجائزة لأحد أبنائنا! إنني سعيد لدرجة لا يمكنني وصفها!

(وتعود النساء إلى الرقص من جديد على قرع الطبول).

«لماذا لا نبتهج؟
لماذا لا نفرح؟
من أجل آرنجندن - الابن
الذي يجلب الشرف إلى بيتنا
لماذا لا نفرح؟
(ولكن الطبال يغير فجأة الإيقاع)
مقاطعة الطبول
الاكوني أغلقوا أفواههم
ابننا
لقد أخرسهم!
ابننا
أخرسهم بغناه!

أخرسهم بشهرته!
ابننا -
أخرس أفواههم.
بالفعل أخرس أفواههم».
(يشتد الرقص ويتحول إلى تنافس بين النساء اللائي يصطففن في جانب، والرجال الذين يقابلونهن في الجانب الآخر، وتتقدم كل جماعة مرة منتصرة على الأخرى المتراجعة، حتى يأتي دور المجموعة الثانية لتفعل الحركات نفسها، وعندما يأتي دور الرجال للهجوم الراقص، ينفك صف النساء ويبدأن بالسخرية من الرجال... وهكذا).
(هجوم النساء)

النسوة: «اي ي ي ي...
الأغنياء لا يرقصون بهذه الطريقة!
الأغنياء لا يرقصون بهذه الطريقة!
وبطريقة هذه الأرجل المتخاذلة.
أو كأنهم قرود يركضون خلف الموز.
آه... ما أصعب ذلك... تتقافزون في المكان مثل الضفادع!
لكن الأغنياء لا يرقصون مثل ذلك».
(يتوقف عزف الطبول، ويأتي دور الرجال للهجوم المعاكس على النسوة)

قائد الرجال: «ابتعدوا قبل أن أبدأ الكلام!

الرجـــال: ابتعدوا قبل أن أبدأ الكلام!

قائد الرجال: فالشخص الوحيد الذي شاهد الأفعى يلهث خائفا!

الرجـــال: الشخص الوحيد الذي شاهد الأفعى يلهث خائفا!

قائد الرجال: لكنكم عندما ترون ملك الغابة تنتظرون!

الرجـــال: هل تشاهدون الأسد؟ وتظلون واقفين؟

(ويأتي دور النساء للهجوم)

(هجوم النسوة)

رئيسة النسوة: رجاء لا تختَلّ أو تتباهى!

النســـوة: «رجاء لا تختَلّ أو تتباهى!

فسوف تخرب الأسرة...

وتصبح أحدب

والآن هناك ثلاثة حدب

في عائلتك!

ولذلك فالرجاء لا تختَلّ أو تتباهى...

عندما أحضرت نارك أخمدتها.

وفي البالوعة ابتلعها الماء.

فإذا ذهبت إلى الجدول فما حال البحيرة؟

فإذا كانت البحيرة اختيارك، فنحن نكون البحر!

لقد خربت أسرتك

وأصبحت أحدب...»

(جواب الرجال السريع الثاني)

الرجـــال: «الثعبان يجوع، والسلحفاة تتبختر...

ولكن السلحفاة والحية كلتاهما للأكل...
الحفلة التنكرية جاهزة، فليهرب جميع الكفار!
فالنمر يهز الغابة بقوة!»

أيـــيـــنـــدي: توقفوا! ... توقفوا!... أقول لكم توقفوا!
(يتوقف الراقصون تدريجيا ويسود الصمت).

بـــآلـــي: ما الأمر يا تيا؟ لماذا أوقفت الرقص والاحتفال، وخنقت أصوات الطبول؟

أيـــيـــنـــدي: لأن لدي شيئا أقوله.

بانونهـــون: وكذلك الجميع.

أيـــيـــنـــدي: شيء مهم.

جباد يجسن: ألا يمكنه الانتظار الآن؟

أيـــيـــنـــدي: شيء يتعلق بهذه اللحظة.

بـــآلـــي: حسنا تكلم، ولكن اختصر!

يـــوبـــي: (بقلق) آيبندي ما الأمر؟

أيـــيـــنـــدي: أرغب أولا أن أبدأ، بأن أهنئ هذه الاحتفالات، فآرنجندن بالتأكيد يستحق التكريم.
(ترحيب حماسي... حذر...)

القـنـصـل: هيا واصل! أو أهذا كل ما لديك لتقوله؟

أيـــيـــنـــدي: أيها الأصدقاء، الإخوة والأخوات. وأنتم، آباءنا أرجو أن يطول صبركم، فسوف لن أطيل عليكم. وعلى كل حال، وكما يقولون، فإنه عندما يكون الموضوع مألوفا، فإنه لا ضرورة لتكرار الكلمات نفسها. لقد كرم آرنجندن، وهو رجل يستحق

هذا الشرف. وعن نفسي، أنا آيبندي أهنئه!
(همهمات قصيرة) آرنجندن، يمتلك شجاعة كبيرة، ولكنه أيضا لديه شيء آخر، يا للأسف أشياء أخرى... ولكن يبدو أنني بدأت أدخل الملل إلى نفوس البعض يستحسن أن أجلس...

بانونهون: لا لا، ما هذا؟ إنها المومس فقط التي تساوم عندما يتعرى الزبون!

بآلي: تيا، يجب أن تتم كلمتك! ما هذا الشيء الآخر»؟ نريد أن نعرف!

أيبندي: أرجو المعذرة، أيها الشيوخ الأجلاء! أراكم جميعا بابتساماتكم المشرقة، وملابسكم الجميلة، ففي يوم بهيج كهذا ما كان علي أن أتكلم.

بآلي: لقد فات الأوان!
فعندما تلقي شيئا ما في قِدْر الجماعة، وتدعي أنه بهارات، فإنه يجب عليك إثبات ذلك بأن تكون أول من يذوق ؟

أيبندي: أتوسل إليك... دعني بسلام!

جباد يجسن: يا تيا، ها ها، في مكان الاحتفالات، كما تقول - ليس ضروريا معرفة المغني...

المجموعة: قبل أن يغني!

جباد يجسن: أشكرك.. وكذلك، فالأقدام الراقصة لا تحتاج إلى علامات المجموعة، كي تعرف هويتها ...!

جباد يجسن: تكلم، قل ما يدور في ذهنك، فالتصفيق لا يمكن تشويهه.

المجموعة: في الآذان بسبب الحسد!

القنصل: حقيقة، نحن نعرف أنك مجنون، ولكن لا تخش إن كنا سنغلق آذاننا أم لا، في الملعب.

المجموعة: يظل التصفيق مستمرا.

أيبندي: مجنون، آه؟ حسنا، إذن استمعوا إلي! أنا ابن لهذه الأرض. هنا مثل أي واحد منكم تعلمت حبي للحرية! ولكن هل أقول أيضا إنه هنا كذلك، في وطني، تعلمت أن أفقدها، وأعيش في غياب الحرية؟

بانونهون: لا يمكنك التوقف الآن، استمر، نحن منصتون.

أيبندي: آرنجندن هو بطلنا، لقد جعل لياليا آمنة، وأبعد اللصوص، الذين يسرقون حتى أحلامنا! ولكن ما الثمن الذي ندفعه لهذا الأمان؟

أجيبوني! نعم نحن ننام بأمان، ولكن قرارات آرنجندن تحاصرنا كالسور الحديدي في كل مكان!

(يحدث هرج ومرج، ويطالبه البعض بالجلوس أو الانصراف... بينما يشجعه البعض على الاستمرار).

المجموعة: هراء! هراء! الرجل مجنون! مجنون!

دوكي: إنه معتوه! فعندما يرقص الديك الصغير بين جماعة الصراصير، تذكروا، أن ذلك ممتع للديكة الآخرين، وليس للصرصور! اجعلوه يصمت!

فـــاتوسن: نعم، ارموه خارجا! فالنار يمكن الوثوق بها ما دامت في الموقد، وليس عندما تتسلق السطح!

أيـيـنـدي: دعو آرنجندن يأخذ مكافأته، ولكن دعوه أيضا يتقاعد! وحلّوا الحرس الليلي!

الـقـنـصـل: هل تسمع تبجحه أيها البآلي؟ كان يجب ألا تسمح له بالكلام!

الـبـآلـي: اصمتوا الآن، اصمتوا! فلم أطلب سماع الآراء! (تخف الأصوات)
تيا، إنك حقا تدهشني، خاصة في يوم كهذا؟

أيـيـنـدي: إنها لحظة اختيرت بعناية أيها البآلي! فالأشياء التي تحدث بسبب براءتنا، سوف تقلب هذا المكان إلى سجن فعلي قريبا!

الـقـنـصـل: يكفي هذا! لقد سمعنا ما فيه الكفاية من صوتك المجنون.

أيـيـنـدي: لأنك خائف، أليس كذلك. خائف أن أخرج جميع ما في جعبتي، خاصة مؤامراتكما أنت وآرنجندن.

الـقـنـصـل: هراء! إن عقلك مريض، فذلك كل ما يمكنك اختلاقه مهما...

أيـيـنـدي: غدا! أخبر القرية ما الذي خططتما له للغد! تكلم!

الـقـنـصـل: لماذا علي أن أجيب عن تهم من رجل مجنون؟

أيـيـنـدي: أيها البآلي، أصدقائي - إذا كنتم لا تصدقونني، اسألوا أحدا تثقون به: ها هو أولودي اسألوه!

بانونهـــون: ماذا؟ أولودي!

أولـــــودي: لن أتفوه بأي شيء! دعوني بعيدا عن هذا الموضوع!

القـنـصـل: بآلي، إن هذا...

أيـيـنـدي: إنه خـائف، ألا ترون ذلك؟ رجل بشـجـاعـتـه وسمعته، ما الذي يجعل أولودي يرتجف هكذا؟ ما الذي يخيفه؟

البـــآلي: تكلم يا أولودي! تذكر أنني أنا نفسي الذي بعثتك للانضمام إلى الحراس الليليين، لقد طلبت منك أن تكون أعيننا وآذاننا هناك؟

(يتحول الموقف إلى صخب عام الآن)

القـنـصـل: ولكن لماذا الإصرار بهذه الطريقة؟ أنت وضعت جاسوسا بيننا! والآن جاسوسك يقر بأنه لا يعرف شيئا! ما هذا الذي يحدث في مدينتنا، إننا نلطخ سمعة رجل بارز على الملأ، ونضع الأوساخ على ملابسه، مسكين يا آرنجندن!

أيـيـنـدي: تشجع يا آولودي، كل ما تحتاج إليه هو جرعة صغيرة من الشجاعة!

إنها هي التي منحتك لقبك؟

القـنـصـل: هذا كاف... أنا راحل.

أولـــــودي: سوف أتكلم (يسود الصمت) نعم أنت أيها القنصل وصديقك آرنجندن، أنت تعرف ما الذي خططتما له غدا! السلطة! نعم.. إن مخططكما هو السيطرة على السلطة هنا بشكل كامل ابتداء من منتصف الليل!

القنصل: أولودي... هذا.

أولودي: لقد قررتما ذلك! سوف يكون هناك حواجز أمنية على الطرق السريعة وحول السوق! وكذلك مراكز اعتقال. بل أكثر من ذلك. لقد قررتما أيضا فرض ضرائب على جميع التجار والمزارعين، بعد أن تضعوا البآلي تحت الإقامة الجبرية في منزله!

(يحدث الآن... هناك هرج ومرج)

القنصل: أكاذيب... كلها أكاذيب... أنت وتيا تكذبان... أنت...

أولودي: أكاذيب؟! حسنا... إذن دعني أُري هؤلاء الناس لون أكاذيبنا! (يتجه ناحية إعلان محلات «إيليبوتي» ويديرها فتظهر كلمات كبيرة كتبت في جهتها الأخرى تقول «سجون»، وتسمع كلمات وهمهمات الدهشة على الحاضرين). ما رأيكم بهذا (ويدير أيضا إعلان) محلات «فاتوسن» فتظهر كلمات «مركز استجواب رقم ١» فتزداد ردود الفعل. (يقف البآلي فيصمت الجميع) آرنجندن... إن ما نسمعه مؤلم جدا... آرنجندن فسر لنا ما الذي يحدث! ما معنى كل ذلك؟!

(يطبق على الجميع صمت متوتر... بينما يبدأ آرنجندن العزف على مزماره في طريقه تاركا المكان... وسط ردود أفعال مختلطة).

البـــــآلـي: دعوه يذهب: وليذهب الجميع... بني (مخاطبا تيا) إني أشكرك وكذلك أنت يا أولودي... فهذا الأمر سنحقق فيه كثيرا.. ومن ثم...

القـنـصـل: (مقاطعا): استمعوا.. أرجوكم استمعوا إلي... أستطيع شرح كل شيء! اجلسوا للحظة، إن الأمور ليست كما تعتقدون، أعطوني الفرصة على الأقل!

البـــــآلـي: (بعد تفكير) حسنا سوف ننتظر... ونستمع إليك... هيا تكلم (يجلس الجميع).

القـنـصـل: أعرف لماذا لم يود آرنجندن الحديث. إنه يحس بأنه أهين، وهو ما أحسه أنا الآن...، ولكنني سأتكلم!

البـــــآلـي: كلنا آذان صاغية.

القـنـصـل: أيها البآلي... أيها الشيوخ... أبناء قومي... أنا لا أعرف سبب حقدهم... ولكن أولودي وتيا ارتكبا جرما فاحشا. ولكنني سوف أوضح الأمور بشكل صحيح. الضرائب، نعم صحيح أننا ناقشنا موضوع الضرائب ولكن هدف ذلك كان من أجل توفير المال لأولئك الرجال الذين يحرسون بيوتنا، ويجعلون لياليا آمنة! فالسكين الحادة لا يمكن أن تظل فعالة إلا إذا ظللنا نشحذها! وإن كنا نخاف على أنصال خنجرنا من التلف، فكيف يمكننا إخراج الماء من التربة المليئة بالصخور؟ نعم ناقشنا الجزية ولكن ذلك

من أجـــل راحـــتكـــم... ولكـــن ا لموضـــوع لم يتجاوز المناقشة!

أيـــيـــنـــدي: إنها أكذوبة! فأنت.

البـــــآلـي: (مقاطعا) اصمت يا تيا... دعه يُنهِ حديثه!

الـقـنـصـل: أما موضوع الإقامة الجبرية للبآلي... فالسخافة! (ضـاحكا) إن مـا نـاقـشنـاه... هو انتـبـهـوا... مـا ناقشناه هو مقـر سجن للصوص! وهو ما تعبر عنه هذه اليافطة.. وإنما تجربة كان يفترض أن تجرى في الغد بعد مناقشتها مع البآلي. ودعوني أخبركم لماذا نحتاج إلى سجن... أين جبادا ودوكي أرجوكما تقدما إليَّ... وأخبرا الجميع ماذا حدث عندمـا قـبض الحـراس على لص، وأخـذنـاه إلى مركز الشرطة في شاكي! هيا... أخبرانا ماذا قال رجال الشرطة عندما وصلنا إلى هناك.

دوكـــــــي: حسنا، لن تصـدقـوا ذلك! عندمـا شـاهـدونا مع سجيننا. انفجروا بالضحك...!

بـانـونهـــون: يضحكون!

دوكـــــــي: يضحكون!

جـــبـــــادا: وأخيـرا قـال الرقـيب لماذا تحضـرون هذا الرجل إلى هنا؟ ألا تعرفونه؟

دوكـــــــي: قلنا «لا» نحن لا نعرفه!

جـــبـــــادا: «لا عـــجب إذن»، وعـــاد يضـــحك ثانيـــة! إذن أخبروني، ما الذي فعله.

دوكـــــــي: لقد قبضنا عليه وهو يحاول سرقة منزل.

جـــبـــادا: يسرق! ها ها ها... إنها ليست مهنته! وإلا فهل نجهل الرجل؟ لا لا أعتقد إنه لص! إنه لن يفعلها بعـد أن رأى وفـاة اللص الآخـر في الشـهـر الماضي... لقـد أطلقنا سـراحـه من هنا... أيهـا اللص آبي لا يوجد أي من رفـاقك هنا. (ثم عـاد للضـحك هو وزمـلاؤه من جـديد... قـبل الاستمراربالحديث).عفوا أيها السادة لإضاعة وقتكم هكذا... فأنتم لا تعرفونه، فهو ليس لصا عاديا... ولا يمكن تغييره الآن، فقد أصبحت السرقة في دمه!

المجـمـوعـة: شيء لا يصدق!

الـقـنـصـل: هذا ما حدث في دائرة الشرطة... لقد رفضوا حتى وضعه في السجن!

دوكـــــــي: ليس ذلك فقط... هل نسيت أيها القنصل؟ لقد كدنا جميعا نلقى في السجن.

المجـمـوعـة: كيف؟ ولماذا؟!

جـــبـــادا: كنا نهم بترك المكان بعدما قاله... عندما صرخ بنا الرقيب بشكل مـفـاجئ: هـــي... إلى أين أنتـم ذاهبون؟!

دوكـــــــي: وإلى أين تريدنا أن نذهب؟! إننا ذاهبـون إلى مدينتنا بالطبع!

جـــبـــادا: جبادا: ولماذا تتركون لصكم هنا؟

دوكـــــــي: وماذا تقصد «بلصنا»؟! ما الذي يجب علينا فعله معه؟!

جـــبـــادا: إذن فأنتم ستذهبون فقط... تاركينه كأملاك منسية! حسنا إني أسئلكم... هل أنهى مدته معنا؟!

دوكـــــــي: نعم... وماذا بعد ذلك؟

جـــبـــادا: سوف أحيك أفواهكم جميعا إن لم تعودا في الحال وتخرجا حملكما هذا من مكتبي..وسوف أقبض عليكم بتهمة جريمة الاتجار بأشياء مسروقة... أيها الغبيان!

القنصل: هل ترون... هل ترون الآن... لقد كان هذا هو السبب الوحيد لقرارنا الحصول على مكان للمجرمين خاص بنا.

إليبوتي: فقد اخترتم متجري لذلك!

القنصل: كإجراء مؤقت فقط، وعلى سبيل التجربة!

جباد يجسن: وماذا عن حواجز التفتيش التي يقولون إنكم ستضعونها على جميع الطرق؟!

القنصل: للتحكم في تحركات المجرمين بالطبع... حسنا هذا يكفي! لن أجيب عن أي أسئلة أخرى! لقد انتُخبت قنصلا هنا. وكنت كذلك لسنوات طويلة وحتى قبل أن يولد بعضكم! لا بد أن يعني هذا لكم شيئا... إنه ببساطة يعني ويجب عليكم الثقة بي! وفوق ذلك كله... فأنا نفسي أحتكم على بعض السلطات ولذلك فلن أجيب عن مزيد من

الأسئلة! اتخذوا أي قرار تشاؤون (ويبدأ بالتوجه خارجا من المكان بينما يحاول بعض الموجودين ثنيه عن ذلك).

المجموعة: أيها القنصل... قنصل.

القنصل: لا... فأنا لست بوابا لمنزل أحد المرابين... ولا يمكنكم تلطيخ رأسي بأوساخكم بطريقة شائنة.

بانونهون: لقد استمعنا إليك... والآن عرفنا... فدعنا.

القنصل: (مقاطعا) لقد جعلنا لياليكم آمنة! جميعكم الآن تنامون بهدوء... حسنا! يبدو أن ذلك جريمة الآن. الليلة. أنا وآرنجندن سوف نحل فرقة الحراس الليليين!

أيبندي: نعم... تحلونهم! لن يكون هناك تسلط هنا بعد الآن... نحن نريد.

اللص: (ينفجر الهرج والمرج فجأة... ويدخل لصوص مقنعون يحملون البنادق... ويحتلون الميدان... تسمع طلقات البنادق وتحدث فوضى كبيرة وتراكض وصراخ من الموجودين... هنا وهناك، وأخيرا يسيطر اللصوص على المكان).

اللص: انبطحوا جميعا على وجوهكم... وأغلقوا أعينكم... جميعكم هيا... بسرعة... لا أريد أن أسمع صوت أي واحد منكم... أنت هناك... ألا تسمعني؟! لماذا لا تزال واقفا... هل تريدني أن أقتلك؟

البـــــآلي: أنا زعيم هذه المدينة!

الـــلـــص: خيـرا!! وأنا زعـيم اللصـوص... وأقـول لك أن تنبطح فوراً... وبسرعة.

(يسحب بعض المواطنين البآلي ويسقطونه إلى الأرض).

الـــلـــص: حـسنا... والآن أيكم يدعى آرنجندن؟ أيهـا الدجاج.. أجيبوني!

دوكـــــي: هو ليس موجودا هنا...

الـــلـــص: ليس مـوجـودا هنا إذن... ذلك من حـسن حظه، وإلا لقناه درسا اليوم! لقد ادعى بأنه سيـمنعنا من التجول ليلا هنا... وها نحن نأتي إليـه في عـز الظهـيـرة... أليس ذلك عـملا جـريئـا؟ آه (يسـود الصـمت) هيـا أيها الرفـاق... يبـدو أن الجـمـيع أصـيـبـوا بالصـمم... ربما علينا أن نعالج ذلك ببعض الأدوية!! (يبـدأ اللصـوص بركل البـعض وضـرب البعض الآخـر) حسنا... هذا يكفي أعـتـقـد بأن آذانهم الآن مفـتـوحـة... سـوف أسئلكم مرة ثانية: هل أفعالنا جيـدة، أقول أليس أفعالنا جيدة؟

المجـمـوعـة: نع ع ع ع م م م...!

الـــلـــص: جيـد... أستطيع القـول الآن إنكم أناس طيـبون، وكذلك نحن... فنحن لا نريد أي متاعب!

والآن... جميعا.. أخرجوا محافظكم، وحقائبكم، وكل شيء!

(يبدأ اللصوص بالتجوال بين المجموعة ويجمعون ما لديهم في حقيبة كبيرة... ويحاول فاتورسن إخفاء نقوده داخل حذائه غير عالم بأنه مراقب من اللصوص).

اللـــــص: هل هذا كل ما لديهم؟ حسنا! أنت (ناهرا فاتورسن) قف! انزع حذاءك... بسرعة! (يمتثل فاتورسن للأمر. فتسقط النقود من جوربه) أرأيت؟ كيف يكذب رجل كبير مثلك! أقول لك أحضر جميع نقودك فتخفي بعضها في الحذاء! ألا تخجل أبدا؟ ماذا لو رآك ولدك... لا بد من أنه سوف يكذب ويغش... وبعد فترة قصيرة سيبدأ بالسرقة! إذن ستعلمه كي يصبح لصا، ألم تسمع الحكومة تقول إن اللص شخص سيئ؟ أيها الرفاق، إن هذا الشخص مواطن سيئ، عليكم بتلقينه درسا!... أعطوه بعض الجلدات! (يبدأون بجلد فاتورسن المرتعب).

اللـــــص: حسنا... هذا يكفي!... أنت هناك (مشيرا إلى القنصل). ألست أنت القنصل؟

القـنـصـل: أجل... أجل...

اللـــــص: ألم تسرق أموال الناس؟ أجب!

القـنـصـل: لا... أنا...

اللـــــص: أخرس!... سرقت الأموال أم لم تسرقها؟ أجب بسرعة!

القنصل: أجل... أجل...

اللص: أرأيت؟ أليست هذه لصوصية أيضا؟ مع أنهم يدفعون لك بشكل جيد جدا... فإنك تسرق أموال القنصلية، والأسوأ من ذلك لا توفر لهم الحماية... وتترك اللصوص يهاجمون الناس الأبرياء في وسط الظهيرة!..هل هذه هي الطريقة التي تؤدي بها عملك؟ أعطوه بعض الجلدات.

يوبي: لا... لا... أرجوكم.

اللص: اخرسي! ما الذي يعنيك من أمر هذا الرجل؟ هل هو صديقك؟

يوبي: أرجوك... إنه والدي.

اللص: آه... فهمت!... عندما تنتهي من هنا، ستأتين معنا. اقبضوا عليها (يمسك اللصوص بها... ولكن تقاومهم وخاصة عندما يبدأون بجلد والدها...).

يوبي: أنتم هناك... هل ستظلون جميعكم صامتين هكذا تشاهدون ما يجري فقط؟! هيا تحركوا... فهم مجموعة صغيرة.

اللص: أطبقي فمك أيتها القذرة... (يضرب يوبي فيهجم عليه أيبندي).

أيبندي: لا... أ.. أ.. أ.. (ولكنه يسقط بإطلاق نار من أحد اللصوص).

يـــوبـــي: أيـيـنـدي... ي... ي... (يـجـــري الـبـــآلـي باتجـاهـــه... بينمـــا تـــزداد المجـمـوعـــة التصاقـا بالأرض).

الـــلـــص: تتفـاخـر أيهـا الولد الغـبـي... من أمـرك بإطلاق الرصـاص عليـه (ثم يوجـه طعنـــة له) خـذوا البندقـيـــة من يده... فـلا فـائدة منـــه الآن! (يقـوم أحـد اللصـوص بأخـــذ البندقـيـة من الرجل، بينمـــا يتجه زعيـمـهم للتحـــري عن جـســـد آيينـدي الملقى. ثم يعـــود للوقـــوف بسـرعـــة، عندهـــا يكتـشـــف بأنه قـد مـات فـعـلا. نسـمع من الخـارج صـــوت مـزمـار. والـــذي بمجـرد سـمـاع المواطنـــين لـــه ينهـضـون مـــن انبطاحـهـم الألـيم، وتحـملـــق عيـونهم فـــي ترقب).

هيا أيها الرفاق... لنترك المكان بسرعة... هيا وأحـضـروا هـذه المرأة مـعكم... هيـا. (يخـرج اللصـوص مـسـرعين حـاملين غنـائمـهـــم ويوبي مـعـهم في اللحظة نفسـهـا التـــي يظهـر فـيـهـا آرنجندن داخـلا من جـهـة أخـرى يجـري النـاس باتجاهه... هاتفين باسمه).

آرنجـــنـــدن: ما الذي حدث؟ ما الذي حدث؟

(الجميع يتكلمون في اللحظة نفسها، ويشيرون إلى الاتجاه الذي خرج منه اللصوص).

آرنجـــنـــدن: واحدا واحدا ...!

(يلاحظ البآلي راكعا بجانب جسد أبيندي، فيشق طريقه بصعوبة باتجاههما مخترقا جموع الناس.

جـــوكـــو: لقد أطلق اللصوص عليه الرصاص.

آرنجـــنـــدن: هل قتل؟!

بانونهـــون: نعم... قتلوه أمام أعيننا جميعا، وفي وضح النهار!

(يبـدأ الجـمـيع بغناء ترنيـمـة، بينمـا يعـزف آرنجندن على مـزمـاره. وتغطي مـامـا توكونبـو الجثة بمريولها).

آرنجـــنـــدن: هيا ساعدوا في نقل جسده.

(يتقدم بعض الناس ويحملون الجثة)

الـقـنـصـل: (وكـأنه أفاق فـجـأة من سبـات) ابنتي! ابنتي! يا الله ماذا سنفعل بموضوع يوبي؟

آرنجـــنـــدن: يوبي؟!

الـقـنـصـل: نعم، لقـد أخذها اللصوص بعيدا! ابنتي الوحيدة! أرجوك ساعدني.. يجب أن نلحق بهم... أرجوك...

(آرنجندن يشيـــح بوجهـه بعيـــدا ... عـازفـا على مزماره)

آرنجـــنـــدن: البآلي! اطلب من البآلي أن يساعدك!

الـبـــآلـي: (شـاعـرا بجـسـامـة الإهـانة)... آرنجندن... أيهـا القنصل (ثم يرفع غطاء رأسه، وفي الحال وكتعبير عن فهم الدلالة الخاصة لهذا الفعل، يبدأ البعض بالصراخ... بينما ينخرط آخرون في البكاء).

البـــــآلـي: أبناء قومي لا داعي للبكاء... (ثم يبدأ بالتأتأة... هناك دموع تملأ عينيه. ثم يبدأ الجميع... واحدا بعد الآخر بقيادة أولودي يجثون على ركبهم أمام البآلي ما عدا آرنجندن. تتمازج الصرخات لتشكل أنشودة أخرى وتتمايل الأجساد معبرة عن مرثية ملكية بطريقة تقليدية خاصة، وهي تغني.

ترنيمة حزينة للشيخ

(مغني/جماعة:كورس)

تنام الحمامةعلى حافة السطح

ويصيح الديك، وا أسفاه، ويصيح

ويسقط الصياد في الغابة

ويصيح الديك، وا أسفاه، ويصيح

وتصمت جميع الحيوانات

ويصيح الديك، وا أسفاه، ويصيح

تتوسل للطائر الطنان بأن يواصل أغانيه

ويصيح الديك، وا أسفاه، ويصيح

ويختفي الموقد تحت الرمال

- ويصيح الديك، وا أسفاه، ويصيح

وتسخر الخضارمن جدر الطبخ

- ويصيح الديك، وا أسفاه، ويصيح

نصلي كي لا يصبح الحقل خاليا من المحصول

- ويصيح الديك، وا أسفاه، ويصيح
وترتخي الزنبرك في فخ الأرنب
- ويصيح الديك وا أسفاه، ويصيح
قدرنا طعامنا الآن مقلوبا
- والديك يصيح، وا أسفاه، ويصيح
الديك يصيح، انتبهوا، فالشجرة الضخمة تسقط
- آه، ما زال الديك يصيح، ويصيح

بـــآلـــي: ... عندما لا يستطيع الأسد - الذي يقود القطيع - التمييز بين رائحة الصياد، فيظنه الفريسة، وعندما تسقط أوراق شجرة (الأرابا) التي تظلل رؤوسنا، وتبدأ بالجفاف، يا أحبائي... إننا نعيش هذه اللحظات؛ عندما تهاجم الفيلة بيوتها ويجد زعيم الصيادين ذراعيه مشلولتين.. فهذا إنذار بالانسحاب، والاستسلام والعودة إلى الأجداد.

الجـــمـــوع: بآلي... أبانا!

(ويرتفع الغناء الآن بشكل أكثر قوة)

بـــآلـــي: وداعا يا أولادي.. هيئوا لي قبرا وقورا.. لقد أورثنا أجدادنا قدرات قديمة... وهي القوة التي تربطنا بجذور الأرض... ولكن الزمن تغير! فلم يعد أحد يستمع إلى قوة الأرواح، أو إلى الكلمات التي يرسمها الماء، والريح، والعقيدة لقد تحول الزمن إلى عـــروس للبنادق، ومن يمتلكهـــا... وكذلك فالأحسن لي أن أنسحب: آرنجندن هو

القائد في زمنكم الجديد.. أرجو أن يقودكم إلى الصواب. وداعا...

(يسير ببطء خارجا يتبعه المغنون (المجاميع)، بينما يظل آرنجندن وحيدا على المسرح، يعزف على آلته الموسيقية. لحظات من الصمت... يدخل بعدها بحذر رئيس اللصوص، ثم يتبعه بقية رجاله، يحملون معهم الحقائب، ويجرون يوبي أيضا، وهي مكممة الفم، ويلقون بها تحت أقدام آرنجندن).

زعيم اللصوص: (مؤديا التحية العسكرية) آسف أيها الرئيس بشأن الرجل الذي قتل. لقد كانت غلطة، ولكنني لقنت الولد درسا في الحال.

آرنجـــنـــدن: حسنا، احملوا الحقائب إلى الداخل.

زعيم اللصوص: وماذا بشأنها؟

آرنجـــنـــدن: ولماذا أحضرتها هنا؟

زعيم اللصوص: إنها مجرد غلطة أيها الزعيم! وعلى كل حال، فالزعيم ما زال عازبا! وكون والدها الرجل الثاني في...

آرنجـــنـــدن: (يوبي تصارع محاولة الكلام) حسنا ارفع الكمامة عن فمها، يبدو أن لديها ما تقوله (يرفعون ما يغطي فمها).

يـــوبـــي: أنت، أنت الذي خططت لكل ذلك!

آرنجـــنـــدن: نعم، لقد خرَّب صديقك، وذلك الرجل أولودي

مخططي الأول، ولذلك كان علي أن أفكر بشيء آخر وبسرعة، لن يستطيع أحد إيقافي للوصول إلى السلطة بعد الآن.

يـــوبـــي: وأبي، أهو مشترك معك في ذلك؟

آرنجـــنـــدن: نعم، ولكن ليس حسب ما يعتقده هو. مثله مثل جميع الضعفاء، فهو مستعد لخدمة الرجل القوي، وبدرجة كبيرة. فهو لديه استعداد كبير لبيع خدماته لرجل قوي! سيحصل على مكافأة عظيمة!

يـــوبـــي: سوف أكلمه! سأجعله يقاومك!

آرنجـــنـــدن: (ضاحكا) أنت! يالغرور الحشرات. وبماذا تراهنين؟

يـــوبـــي: بحياتي!

آرنجـــنـــدن: يدك، اقسمي بأنك ستوافقين على إعطائي يدك!

يـــوبـــي: حـــسنا أعطيك يدي، على أن أبي لا يمكن أن ينضم إلى رجل فاسد مثلك.

آرنجـــنـــدن: وأنا أقـدم حـيـاتي، وكل مـا أملك لو اتضح أن والدك لا يتفق معي.

يـــوبـــي: سنرى!

آرنجـــنـــدن: أخـبـر الرجـال في نقطة التـفـتـيش بالسـمـاح لوالدها بالمرور.

يـــوبـــي: أبي؟

آرنجـــنـــدن: سوف ترين!

(يدخل القنصل يرافقه اللصوص)

الـقـنـصـل: آرنجندن

يـــوبـــي: (تقاطعه) أبي!

الـقـنـصـل: يوبي! (يتعانق الأب وابنته)

الـقـنـصـل: ولكن كـيف؟ آرنجندن إنـني لا أفـهم! أنت، ابنتي، هؤلاء اللصوص...؟

آرنجـــنـــدن: ربما ســتــعــرفــهـــم عندمـــا يغـيـــرون مـلابسهـــم، أيها الرجال اذهبـوا إلـى الداخـل وبدلـــوا ملابسكم.

(يخرجون).

الـقـنـصـل: ماذا؟

آرنجـــنـــدن: لصوص، أو حراس ليليون، إنها فقط مسألة ملابس

الـقـنـصـل: أنتم، إنني لا أفهم.

يـــوبـــي: إنهم رجاله يا أبي، هؤلاء اللصوص.

الـقـنـصـل: هذا مستحيل!

آرنجـــنـــدن: إنها على حق أيها القنصل. لقد أجريت تعديلات على مـخططنا في آخـر لحظة، عندمـا حـاول هذان الاثنان خلق مشاكل لنا. لن يستطيع أحد إيقافنا الآن!

يـــوبـــي: أبي، أنت لست شـريكا له في هـذا أليس كـذلك؟ إنه شيطان، يجب أن تفضحه!

الـقـنـصـل: آرنجندن... رجل قوي يا يوبي...

يـــوبـــي: وماذا عن الناس يا أبي الناس الذين انتخبوك؟

الـقـنـصـل: إنهم غارقون في سبات للأسف.

(آرنجندن ضاحكا)

آرنجـــنـــدن: لقد تراهنت ابنتك معي. إنها صغيرة، لا تعرف معنى الحياة أو القوة! أنت سوف تكون الرجل الثاني من بعدي، وتذكر بأن كل ما جمعناه هنا هو أيضا ربح لك. إنك تعرف كيف تحولت هذه المدينة إلى مكان مستباح بسبب قيادتها الضعيفة. والآن لدينا الفرصة كي ننتشلها من ضعفها، فلا بد لشجرة الصاج من ساق قوي كي تنافس الأشجار الأخرى، وتنتزع حصتها من شعاع الشمس، وماء المطر، يجب أن نستعيد أمجاد الماضي، ونحيي رجولتنا المتهالكة، لم يَجب أن نجعل شعبنا يؤمن من جديد بالأبطال؟! إن المستقبل يفتح ذراعيه لأولئك الراغبين بالتحدي. هل أنت معي أم لا؟

يـــوبـــي: أبي.

آرنجـــنـــدن: لقد تراهنت مع ابنتك، ووعدتني بأنها ستصبح زوجة لي في حالة انضمامك لي. ضع يدك في يدي كي تصبح غنيا! أو اترك هذه الفرصة السانحة للقوة، والمغامرة، إني أدعوك الآن لاتخاذ القرار كرجل.

(فترة من الصمت، حيث يراقب القنصل بعينيه ردة فعل ابنته، ثم يبدو بأنه قد توصل لقرار ما، يمسك بابنته ويدفعها باتجاه آرنجندن).

الـقـنـصـل: خذها، خذها زوجة لك.

يـــوبـــي: (تقاومه) أبي... لا...!

(آرنجندن ضاحكا، وفاتحا ذراعيه)

آرنجـــنـــدن: (بفرح طفولي...) لقد أخبرتك بأنني سأنتصر!

يـــوبـــي: نعم، ولكن إلى أي مدى.

آرنجـــنـــدن: ما الذي تقصدينه؟

يـــوبـــي: إنك الآن أنت الذي تضحك... ولكن يوما ما سيصحو شعبنا، وسيرفض الاعتماد الذليل على حلم المسيح المنتظر كي ينقذهم، عندها سوف يصبح الجميع مستعدين لتحمل مسؤولية حياتهم، وستشع ديموقراطية حقيقية... (يضحك آرنجندن) ولن تنطلق الضحكات من داخل القصر فقط، أو من خلال شفتيك المخيفتين.. بل ستنطلق الصحف في الشوارع!

آرنجـــنـــدن: إنك تثرثرين كثيرا، وكلامك كله تافه، ولا معنى له! لأنك حالمة؛ إنك لا تعرفين أن الذي لا تحتاج إليه بلادنا فعلا، هو الأحلام، إنها تحتاج الرجال، الذين يحولونها إلى واقع ملموس! نعم... رجال قادرون على الفعل... مثلي أنا.

يـــوبـــي: أنت... أنا أعرف لماذا لا تؤمن بالأحلام يا آرنجندن، فأنت تستبدلها بالكوابيس... إنك لا تتكلم سوى عن السلطة، والجشع، وطموحاتك الشخصية، ولا يعنيك طموحات شعبنا... ومن أجل تحقيق أهدافك، فإنك لن تتردد في

استخدام شتى الوسائل، بما في ذلك القسوة.. إنك لست أكثر من وحش.

آرنجـــنـــدن: هذا إطراء بالنسبة إليَّ، ولكن ما قصدك من كلمـــة وحش؟ هل تعنين الرجل الذي يحـــقق النتائج؟ أو الذي يفضل ترك مصيـــره تحت رحمة خرافات الآلهة الميتة؟ «الجشع، العنف» وهل لديك كلمات أخرى أيضا؟ يا عزيزتي إن جميع الأفعال تغدو جشعـــا، عندما تصبح هي المسيطرة على حياتنـــا! أما العنـــف، فهو شماعة الضعفاء، يعلقون عليهـــا خوفهم، عندما يتغير الزمان. والآن دعينا من كل ذلـــك، هيا لنذهب.

يـــوبـــي: إنني أرفض!

آرنجـــنـــدن: لا يمكنك الرفض، ألا تفهمين؟!

يـــوبـــي: بل إني أرفض!

الـقـنـصـل: يوبي.

يـــوبـــي: (تقاطعه) اصمت، فأنت لم تعد أبا لي!

الـقـنـصـل: استمعي إلي يا يوبي.

يـــوبـــي: (تقـاطعـه) لا، ليس بعـد الآن! لقـد أوصلتك أصـــوات الناس إلى منصـــبك هذا، وجـــعلوك زعيمهم، قائدهم، ولكن انظر إلى أين أوصلتهم.

الـقـنـصـل: حسنا، هاجميني إن أردتي، ولكن دعيني أخبرك شيئا، إن جميع أفراد شعبنا، جميعهم يفضلون

الذهاب إلى النوم، بينما يتولى حراستهم أحد الحراس! إنهم يتكلمون، ويتكلمون، ولكنهم لا يحركون ساكنا لتحمل المسؤولية بأنفسهم. ما داموا يستطيعون ممارسة حياتهم، وكسب أقواتهم الحقيرة، بالسوق في الصباح، وصرفها كلها باحتفالات المساء. وما دام أسلوب الحياة اللامبالي هذا، يمارس من دون أي رقابة، فإنهم لا يهتمون بهوية الرجل الجالس على كرسي السلطة: وكل من يحاول إطلاق كلمات التنبيه في آذانهم، فإنه سيسحق بقسوة...

آرنجندن: (ضاحكا) معقول جدا.

يوبي: نعم مثل أصوات الخونة! سيذكرك التاريخ بأسوء الصفات يا أبي، لأنك لا تؤمن بشعبك، لاعتقادك بأنه لا يوجد هناك مستقبل! ما أكثر إشفافي عليك.

آرنجندن: هذا يكفي! هل أنت آتية معي، أم لا؟

يوبي: أفضل الموت على ذلك!

آرنجندن: سوف نرى. من الواضح أنك تستهينين بذكائي (يصفق بيديه فيظهر الحارس) اقبض عليها، حتى أوامر أخرى (يستدير مبتعدا، ويقترب الحارس من يوبي، التي تقفز فجأة، وتسحب مسدس آرنجندن (المعلق على جانبه) وتطلق عليه الرصاص أولا، ثم تقتل نفسها. تحدث فوضى عارمة؛ فيجري القنصل لإمساك ابنته، ويدخل

الحراس من الخارج بسرعة، وعلى وجه آرنجندن المحتضر نرى علامات الرعب. ويتجمد الموقف على ذلك، بينما تبدأ الإضاءة بالأفول تدريجيا، ونسمع أصوات أهل المدينة تتصاعد - في الخلفية - وهم يرددون «نشيد حارس المدينة».

المسرحية:
النيران تشتعل وتخمد بقسوة

نبذة عن المسرحية

يناقش المؤلف في هذه المسرحية، الدور المزدوج للخرافة والسياسة في حياة المواطن النيجيري. والطريقة التي تتراوح آمال وأحلام هذا الإنسان وطموحاته، ضمن هذا الدور المزدوج الذي يسيطر على حياته، وكأن هناك تعاونا خفيا بين هذين الدورين لغرض عبودية دينية- سياسية على مقدرات هذا الإنسان البسيط، ولكن المؤلف أيضا بقصدية هجائية حادة، يحصر هذا الصراع حول حياة المرأة ومعاناتها فقط. موجها نقدا مريرا لمكانة الرجل ذي السلطة المطلقة، ومبديا في الوقت نفسه تعاطفا إنسانيا مع المرأة؛ إنه يصور قسوة مجتمع الرجال ضد طموحات المرأة المتواضعة، ومطلبها المشروع كي تكون إنسانة، ذات كيان في المجتمع، ففي اللحظة التي يكتمل بناء سوق النساء، تقرر الحكومة وزعماء الدين، بأن هذا السوق ملعون، وبأنه لن يتطهر ما لم تضح امرأة بكرامتها وإنسانيتها. إن هذه المسرحية تمثل صرخة جديدةَ لضمير العالم، ضد التسلط والخرافة، واستعباد المرأة!

شخصيات المسرحية

١- الحاجة أولو أوسيون - رئيسة جمعية العاملات بالسوق.
٢- السيدة تيميلولا - مسؤولة الخزانة بالجمعية وأم لتوأمين.
٣- السيد كايوس آلاكين - زوجها.
٤- الآنسة بيجو توماس - سكرتيرة في المكتب الحكومي.
٥- الزعيم أوجوني - كاهن الآلهة إيفا (أعمى).
٦ - إبراهيم: المساعد الخاص للحاكم.

المنظر:

(غرفة جلوس الحاجة أولو أوسيون، وهي مؤثثة ببساطة، يوصل الباب الأول إلى المطبخ، والآخر (أو إذا كان الأفضل، يمكن استخدام باب المطبخ نفسه) للوصول إلى الخارج. كل من البابين تغطيه ستارة قطنية. سيظل هذا الديكور ثابتا لا يتغير حتى نهاية المسرحية.

الحاجة تدخل من باب المطبخ، ويبدو عليها التعب، بينما ترتفع الإضاءة على خشبة المسرح. وبعدها بقليل تدخل السيدة آلاكين. وكلما فتح باب المطبخ، نسمع أصوات مجموعة من الناس إما ترتفع بالغناء، أو تتداخل في مناقشات، ولكن هذه الأصوات تختفي بمجرد إغلاق الباب).

الحاجة: (وهي تجلس) تفضلي يا عزيزتي، وأغلقي الباب، الله... كم أنا تعبة! (ترتمي على كرسي).

تيـــــمي: (ترقص ابتهاجا) تعبة! ليس أنا يا أمي! سوف أظل أرقص على قدمي، حتى يفتح السوق أبوابه غدا. هل أحضر لك مشروبا؟

الحـــاجـــة: لا... شكرا لك (تيمي تغني...) أه كم أحسدكم أيها الشباب! منذ الصباح وأنتم على أقدامكم، تجرون هنا وهناك... ومع ذلك.

تيـــــمي: (مقاطعة...) انني في قمة السعادة! أخيرا يمكنني رؤية الاحتفال بكامله أمام عيني!

الحـــاجـــة: (مبتسمة...) يا أم إبيجي يا...

تيـــــــمي: (تواصل كلامها...) خلال أقل من اثنتي عشرة ساعة من الآن، تصوري يا حاجة... بالضبط غدا صباحا، سينطلق الاحتفال بكامله! تصوري... النساء بملابسهن الزاهية المختلفة، والتي أعدت جميعها خصيصا لهذه المناسبة! سوف نتجمع هنا، ثم نصطف تحت شجرة الجوز تلك. ثم نركب الحافلات، وننضم إلى الموكب الكبير في المدينة. أنت في المقدمة يا حاجة، نعم سوف نذهب ونغني جميعا تلك الأغاني التي تدربنا عليها، والطبالون سوف يعزفون الايقاع المرافق لنا...

الحـــاجـــة: (تتحرك من مكانها...) ابنتي...

تيـــــــمي: (مواصلة...) ثم نصل إلى السوق! وننتظر شروق الشمس ولمعان نورها على الرايات، وقطع الحاكم للشريط! سيقطع الشريط يا حاجة، أخيرا! وسوف نصرخ جميعا معا، جميع النساء، ونحن معهن، سوف نغني مرددات اسمك! لأنه كان حلمك الأزلي يا حاجة... يا أمي...

الحـــاجـــة: تيمي... إلى متى يجب أن أستمع إليك؟...

تيـــــــمي: شش... يا أمي! دعيني أكمل، إنهم جميعا هنا (تضرب على رأسها وهي تواصل الرقص على قدميها...)، الحاكم وبطانته سوف

يتقدمون الاحتفال. وسوف نتبعهم نحن، ومعنا الطبالون. ثم يبرز الكاهن ممسكا بمجموعة من الأكباش. ها... وينتشر الدم في الهواء، أحمر ونظيفا! ونقفز جريا كي نمسك قطرات منه للحظ السعيد، ونمسح بها جباهنا... أنت تعرفين ذلك كله يا أمي...! لا تظنين أني الوحيدة التي تحس بهذه السعادة الآسرة! إننا جميعا نحس ذلك، ولذلك لم نستطع الجلوس منذ الصباح، ولو للحظة واحدة! إننا لم نقض الأسبوع بكامله نجري كنساء مجنونات، ونحاول التأكد بأن كل شيء في مكانه الصحيح، إلا لأننا حلمنا أن نبدو بشكل جيد غدا، وخصوصا بين أقراننا من هذا الجيل الجديد.

الحاجة: إنني أعرف ذلك! والآن هل تجلسين قليلا، وتدعيني أتحدث إليك! (ولكن الباب يفتح فجأة بقوة... ويظهر رجل... وهو زوج اتيميلولا، الذي يمد رأسه إلى الداخل...).

كاي: آه... عفوا أيتها الحاجة... لقد كنت أبحث عنها (مشيرا إلى زوجته).

تيمي: (بعدوانية، بينما تتضاءل فرحتها السابقة): وها أنت قد وجدتني، ها...؟ ألهذا لم تكلف نفسك الطرق على الباب؟

كـــــــاي: ألا تغلقين فمك هذا، أيتها المرأة! أهذه طريقة تخاطبين بها زوجك؟

تيـــــمي: زوجي! هل ألقيت على نفسك نظرة في المرآة؟ أهكذا يفترض برجل محترم أن يتجول مرتديا سروالا ممزقا؟

كـــــــاي: جل سروالي ممزق! أليس ذلك سببه أن لدي زوجة تهتم بي كثيرا! لو كانت يداك تعملان بنصف القوة التي يعمل بها لسانك الشرير.

تيـــــمي: ماذا! لمن توجه لعناتك أيها الـ...

الحـــاجـــة: يكفي! اصمتا كلاكما! أظهرا احتراما لوجودي على الأقل! (يخضع كلاهما، متمتمين بالاعتذارات) حسنا!... الآن يا والد إبيجي. لماذا تبحث عنها؟

كـــــــاي: ام م... آهه... لقد نظرت إلى الساحة، فوجدت الجميع يقومون بعمل ما... بينما هي... لم أستطع العثور عليها في أي مكان.

تيـــــمي: وإذن فقد عرفت أين...

الحـــاجـــة: انتظري، سأخبرك يا والد أبيجي، أنا التي طلبت منها الحضور إلى هذه الغرفة.

كـــــــاي: لم أكن أعرف ذلك. أيتها الحاجة، أنا آسف، والسبب كونها في البيت دائمة القيام بهذه الأعمال المراوغة إذا لم أراقبها بشكل دائم.

تيـــــمي: أنت أيها الرجل. ليت الكلاب تأكل فمك المليء بالأكاذيب!

بهذا العمر ولا تستطيع قول حقيقة بسيطة! قامة طويلة ولا فائدة منها! وعلى كل حال ماذا تفعل هنا، بين النساء؟ من الذي دعاك؟

كاي: أتيت لأتأكد فقط بأنك لن تسيئي إلى سمعتي بين زميلاتك، هذا كل ما هناك! فأنا أعرف من لدي كـ...

تيمي: أمي... قولي له أن...

الحاجة: أنتما... كلاكما! هل تعتقدان بأنكما في سوق للسمك؟ (يصمتان من جديد) يا والد إبيجي أنا أعلم بأنك كنت خير عون منذ وصلت وانضممت إلينا هذا الصباح. على الأقل لقد رأيتك وأنت تساعد في قطع الأخشاب، وفي أشياء أخرى. وهو ما دعاني إلى السماح ببقائك معنا. وعلى كل حال أنت تعرف بأن هذا مهرجان للنساء، ولا علاقة لك به. أقصد... الحقيقة هي أن زوجتك مسؤولة عن أمورنا المالية، وتعرف واجباتها، وهو موضوع لا علاقة لك به بالمرة! هل تفهم ذلك؟ لقد وجدناها مناسبة لهذا العمل، وتقوم به بجدية وجهد، وحتى لو كان عكس ذلك فإننا لن نحتاجك لمراقبتها! هل فهمت؟ وهكذا رجاء، إذا أردت الإستمرار في مساعدتنا، يمكنك البقاء وفعل ذلك. ولكن إذا كان كل ما تريده هو الحضور من أجل مضايقة أم إبيجي.

كـــــــاي: ليس ذلك بالمرة، أيتها الحاجة! ليس كذلك! لقد أردت فقط... آه حسنا، مادمت الآن عرفت بأنها معك، فسوف أذهب إلى الساحة الخلفية. (يبدأ بالانصراف... ثم يقف). على كل الأحوال أعتقد بأن عليك تحذيرها لمراقبة لسانها عندما تتحدث إلي.

الحـــاجـــة: هدئ من روعك! لقد كنت على وشك أن أطلب منها الاعتذار لك...

تيـــــمي: أعتذر... لماذا؟ لا يمكن! ليس لثور كسلان مثله!

كـــــــاي: ماذا؟!

الحـــاجـــة: يا أم إبيجي! ألا تتوقفين عن توجيه الشتائم لزوجك في حضوري! والآن هيا اعتذري له! هيا!

تيـــــمي: حسنا، من أجلك فقط، يا أمي. أنا آسفة! ولكن الأزواج الذين لا يتصرفون بطريقة جيدة...

الحـــاجـــة: يكفي! والآن، انصرف يا والد إبيجي. فسوف تعود زوجتك إلى المطبخ، حالما ننتهي من حديثنا البسيط هنا.

كـــــــاي: أشكرك، أيتها الحاجة. وسوف أكون ممتنا لك أكثر، لو استطعت معاونتي في العثور على دواء للسانها القذر! (يخرج).

تيـــــمي: (هامسة) رجل لا فائدة ترجى منه!

الحـــاجـــة: استمعي إلي يا أم إبيجي! سوف لن أحتمل طريقتك في الحديث إلى زوجك بعد الآن!

أتسمعين؟ وهو السبب الحقيقي الذي دعوتك من أجله. لقد أردت إخبارك بأنني لا أحب الطريقة التي تخاطبينه بها أمام النساء. إنه مازال زوجك مهما كان رأيك به، ومهما كان حجم المشكلة الموجودة بينكما. أقصد ماذا سينتج عن صراعاتنا إذا لم نحترم أزواجنا.

تيـــــمي: إنها غيرته المجنونة التي لا أستطيع احتمالها! هل هو الزوج الوحيد في المدينة؟ فأنا أيضا ألاحظ النساء الأخريات! أم أنا الوحيدة التي فقدت مكانتها في الحياة؟ لكن لا، فمنذ احتراق السوق القديم، واضطرارنا للتجوال في الشوارع كي نبيع أي شيء، تحول هو كي يصبح شيطانا حقيقيا! حمدا لله بأن الحال هذا سينتهي غدا! إنني لا أستطيع الخروج من الباب دون ما أراه يتبعني في الحال، كخرقة للتنظيف! وفي كل مكان أذهب أسمعه يقول بأنه يفعل ذلك من أجل حمايتي! ما هذا النوع من التسلط؟! ثم إنه لا يفهم عن الحب إلا معاشرتي ليليا بشكل بشع! وكأني مدق للبطاطا أرسلته أمي إلى بيته! انها...

كـــــاي: (مقتحما) المكان: كاذبة! كاذبة ملعونة! كيف بحق السماء يمكنك؟...

تيـــــمي: أتنكر ذلك! هيا وانكر بأن ما أقوله حقيقة؟

كـــــــاي: وإذا لم أفعل؟ ها؟ حسنا إذا لا تستطيعين احتمال ذلك، فلماذا لا تدعينني أتزوج من امرأة أخرى؟

تيـــــمي: (مغتاظة) هيا حاول ذلك! ما الذي تنتظره؟ أرني جرأتك في إحضار امرأة أخرى في بيتي، ودعنا نرَ إذا كنت فعلا أنت ابن أبيك، هيا أرني؟ حاول ذلك! إذا كنت قد ولدت كلبا ودائم الشهوة، ولا تعتقد بأن عليك عرض نفسك على طبيب، فإذن...

كـــــــاي: (مندفعا نحوها، بينما تفر هي باتجاه الحاجة) ماذا؟ أعيدي ما قلتِه! من تدعين بالكلب؟. من...

الحـــاجـــة: (بغضب...) لا أستطيع تصديق ذلك! إنني بالفعل لا أصدق ذلك! تفعل هذا حتى في وجودي! وأمام عيني!

كـــــــاي: (يتراجع...) عفوا يا أمي! أرجوك لا تغضبي! أنا آسف جدا لأني سمحت لنفسي... آسف، أعتقد بأن علي الذهاب إلى البيت بحق هذه المرة... (يستدير للخروج، ولكنه يقف بسبب صوت مفاجئ لصفارة إنذار في الخارج).

تيـــــمي: ماذا! ما هذا الصوت؟

كـــــــاي: صفارة إنذار!

الحـــاجـــة: صفارة إنذار هنا؟

تيـــــمي: الشرطة؟

كـــــــاي: أو الإسعاف؟ أو رجال الإطفاء؟

تيـــــمي: تبدو لي بأنها صفارة الشرطة.

كـــــاي: إنها تقف!

تيـــــمي: لا بد إنها الشرطة.

كـــــاي: ها هي تبدأ من جديد، وتتحدث عما لا تعرف!

تيـــــمي: من الذي لا يعرف؟ هل أنت أحسن حالا مني؟

الحـــاجـــة: (مـقـاطعـة...) لماذا لا تذهب انت وتعـرف مـا يحدث، يا والد إبيجي؟ (كاي يذهب إلى الخارج) إنني أتمنى أن يستـــجـيب الله لصلواتي من أجلكما. لقد كنت أعتقد بأنكما بعد ما رزقكما الله بهذين التوأمين الجميلين، وخصوصا أن الأزواج الآخرين يتوسلون للحصول على الأبناء- اعتقدت بأنكما الآن تتعمان بالاستقرار والسلام، وبأن هذه المشاحنات بينكما قد ولت إلى غير رجعة! آه...

تيـــــمي: أنا آسفة لما سببته لك من إزعاج أيتها الحاجة. ولكنهـــا غلطتـــه هو! إنه لا يريد أن ينضج. (يدخل كاي).

كـــــاي: (نوع من التفاخر...) إنهم ليسوا رجال الشرطة!

الحـــاجـــة: وإذن من هم؟!

كـــــاي: يقولون إنهم آتون من الحاكم. ويريدون لقاءك، ويقولون بأنها حالة طوارئ!

الحـــاجـــة: حسنا، إذن أدخلهم هنا! (يخرج كاي). طوارئ! أتساءل ماذا يكون الأمر. هيا بسرعة ساعديني

في ترتيب المكان! (تبدأ هي وتيمي في ترتيب بعض المخدات... يدخل كاي ومعه الآنسة بيجو توماس والدكتور إبراهيم، بينما تحمل الآنسة توماس بعض الملفات).

الحاجة: أهلا... أهلا! أرجوكما تفضلا بالجلوس.

بيجو: (دون أن تجلس) شكرا لك أيتها الحاجة. نحن آسفون لإزعاجك بهذه الطريقة، ولكن ليس لدينا خيار. فقد بعث بنا الحاكم إليك. أنا بيجو توماس، وهذا رئيسي الدكتور إبراهيم.

الحاجة: اجلسا أرجوكما، اجلس أيها السيد، وأنت يا ابنتي. توماس؟ توماس الذي! أيكون توماس الذي أعرفه؟ أهو ابن بايو الصغير، الذي يقولون إنه أصبح الآن وزيرا لشيء ما في لاغوس؟

بيجو: آسفة لأنني سوف أخيب ظنك، يا سيدتي، فأنا دائما أسأل السؤال نفسه. إن أصولي أبسط من ذلك بكثير. فأبي مجرد مدرس بسيط في مدرسة ابتدائية في مكان ما في الداخل.

الحاجة: حقا! حسنا أظن بأنك تعودت على ذلك الآن. أنا آسفة لإحراجك.

بيجو: لا تشغلي بالك بذلك، أيتها الحاجة، رئيسي لديه رسالة لك من الحاكم.

تيمي: (متجهة للخروج): هيا يا والد إبيجي. لا ضرورة لوقوفك هنا فاغرا فمك هكذا، هيا دعنا نذهب!

بيـــجـــو: عفوا سيدتي. ألست أنت مسؤولة الخزانة النسائية؟

تيـــمي: نعم، أنا هي.

بيـــجـــو: إذن من الأفضل بقاؤك هنا. فالرسالة موجهة لك أيضا.

إبـــراهـــيـــم: سوف ندخل مباشرة في الموضوع! هل يسمح السيد بتركنا؟

تيـــمي: إنهم يطلبون منك ترك المكان!

كـــــاي: (ذاهبا) حسنا، إنني ذاهب، ولكن أيها السيد، وانت أيتها السيدة، آمل ألا يكون شيء ما سيئ قد حدث؟

بيـــجـــو: لا، لا يوجد مشاكل، فقط انتظر في الخارج لبرهة.

كـــــاي: أيتها الحاجة، إذا حدثت أي مشاكل، نادي علي من الخارج...

الحـــاجـــة: شكرا لك. ولكن أسأل الله ألا يكون هناك مشاكل!

كـــــاي: (بلطف) وانت يا تيميلولا يا عزيزتي...

تيـــمي: هيا اذهب! إنك تضيع وقتهما!

كـــــاي: (بقلق...): ولكن...

إبـــراهـــيـــم: (ناظرا إلى ساعته): آنسة توماس!

بيـــجـــو: آسفة يا سيدي (تذهب لإخراج كايوس من الغرفة). آسفة يا عزيزي. إن المفوض على عجلة من أمره! (تخرجه نهائيا...).

إبـــراهـــيـــم: إني مندهش منك يا آنسة توماس!

بيـــجـــو: أنا آسفة يا سيدي... آسفة بحق.

إبـــراهـــيـــم: إني أعـرف ذلك أيتـها الحـاجـة، يالك من إمـرأة طيـبـة، ولكن هؤلاء السكرتيـرات الـلاتي يعـملن بالحكومة، والنظام الحكومي بأكمله يصيبونني بالغثيان! فهم دائماً يختلقون العذر تلو الآخر كي لا يؤدى العـمل المناسب في الوقت المناسب! إننا غير معتادين على ذلك بالمرة في القطاع الخاص.

الحـــاجـــة: إنك على حق، ولكن.

إبـــراهـــيـــم: إن الوضع الحـالي هو وضع طوارئ! وليس لدينا وقت لنضيعه! لقد تحملت كل المتاعب كي أشرح لها، ولكن انظر..! (موجها الحديث إلى بيجو) حسناً، آنسة توماس، أنت تعلمين بأنك أنت من سوف يعاني في النهاية. فأنت لن تستطيعي الذهاب إلى البيت ما لم ينته كل هذا العمل.

بيـــجـــو: (باستسلام..) أعرف ذلك يا سيدي.. سوف أنتظر.

إبـــراهـــيـــم: أرجو أن تكوني مستعدة لكتابة الملاحظات الآن ونحن نناقش الموضوع.

بيـــجـــو: (تستعد): تفضل يا سيدي.

الحـــاجـــة: إنني لا أفهم يا ولدي، فأنت منذ وصولك لم تنطق سوى كلمة واحدة. طوارئ! طوارئ! ما هي القضية؟ هل هناك مشكلة؟

إبـــراهـــيـــم: (بعد تردد..): الحقيقة أيتها الحاجة، إنني لا أعرف كيف أبدأ. إنهم دائما يرسلونني للأعمال السيئة. وعلى كل حال يمكنك فهمها بهذه

الطريقة. نعم هناك بعض المشكلات! (تظهر ردة فعل الحاجة وتيميلولا بشكل قلق كبير..)

تيـــــــمي: مشاكل؟

إبـــراهـــيـــم: نعم مشاكل كبيرة.. كبيرة، على الأقل من وجهة نظرك. ففي الحقيقة إننا لن نستطيع فتح السوق كما كان مقررا.

تيـــــــمي: لا.. لا يمكن هذا يا صديقي!

الحـــاجـــة: لا بد أنك تمزح! ماذا؟ بعد كل هذه الترتيبات التي قمنا بها! وبعد كل هذه المصروفات والجهد، إننا لم نفعل أي شيء سوى ذلك خلال الأسابيع الخمسة أو الستة الماضية!

إبـــراهـــيـــم: نعم وهو ما جعل الحاكم يعتقد بأن هذا القرار يمثل كارثة!

تيـــــــمي: إنني لا أستطيع تصديق ذلك، لا، لا بد أن هذا كابوس!

الحـــاجـــة: لا بد أنكم تمزحون. انظر يا بني، إذا كان هذا هو سبب مجيئك في هذه الساعة المتأخرة، فإن جميع حساباتك خاطئة. فأنا غير مستعدة لمواجهة النساء، أنت تعرف أن عددنا يزيد على عشرة آلاف... أنا أخبرهم بهذا الموضوع. لا بد أنك لا تعي ما تقوله بالمرة!

إبـــراهـــيـــم: أنا أعرف أيتها الحاجة. وأوافقك الرأي بشكل كامل.

تيـــــــمي: آه يا رأسي! إنها... إن هذا لمستحيل. إنها أقل.. أقل من اثنتي عشرة ساعة، هل تفهم... لا، أقل من عشر ساعات على بداية الاحتفال!... هل تعرف يا سيدي المحترم عدد المرات التي استعدت فيها هذا المشهد في مخيلتي! الطبول والرقص والغناء! لقد عشت هذا المشهد مرات عديدة خلال الشهر الماضي وحده! ثم وبعد أن تمكنا من الحصول أخيراً على مفاتيح أكشاك البيع الخاصة بنا بعد أشهر من الانتظار والملاحقة! وهو ما حدث هذا الأسبوع وبناء عليه قمنا بنقل بضائعنا إليها، استعدادا للافتتاح الكبير غدا.. كل هذا... وتقول... آه لقد ضعت إلى الأبد... هل تحاول إفهامي بأن كل ذلك قد ألغي مرة أخرى، وبأننا لن نستطيع فتح السوق الجديد غدا؟ (يظل إبراهيم صامتا..).

الحـــاجـــة: إنني لا أوافق! كيف سنعيش؟ ما الذي سنطعمه لأطفالنا؟ فمنذ أخبرونا بموافقتهم على الافتتاح، قمنا بنقل بضائعنا إلى السوق الجديد. إن كل شيء ستبيعه نساؤنا مخزون في الأكشاك. هل يريدنا الحاكم أن نموت من الجوع كي يحس بوجودنا؟

إبـــراهـــيـــم: اسمحي لي، لقد فهمت الأمور بطريقة خاطئة. فأنا أفهم ما تعانونه، ولكن الحاكم لم يكن هو من اتخذ هذا القرار.

الحـــاجـــة: ليس هـو؟! إذن من؟ من هذا المجنون المتـهـور، الذي لا يهمه حياة الآخرين؟

إبـــراهـيـــم: (يهدوء) كنت أتمنى لو كان مجنونا كما تقولين، فيكون من السهولة التعامل معه.

الحـــاجـــة: إذن، من هو؟ هيا أخبرنا!

إبـــراهـيـــم: إنهم زعماء المدينة، الزعماء والشيوخ.

الحـــاجـــة: حقا!

إبـــراهـيـــم: هذا ما جعلني طرفا في الموضوع. فأنا حلال المشكلات بالنسبة إلى الحاكم، ضابط الارتباط غير الرسمي مع القصر...

تـيـــــمـي: مهما كان مركزك أيها السيد، لا يمكن أن يكون هذا صحيحا! لا بد أنك تعرف ذلك بنفسك! لا يمكنك هكذا ببساطة، أن تأتي وتمزق كل ما حلمنا به واحتضناه لأشهر، بل لسنوات، لا يمكنك ذلك.

الحـــاجـــة: انظر يا بني، فأنا لا أفهم. إن ما تقوله بالكامل يبدو لي غريبا! إن بلادنا.. بلادنا كانت دائما تعمل في التجارة، وكانت مدننا تزدهر أو تموت بناء على وجود تجارة رابحة أو خاسرة. وهذا ما جعل الزعيم وأتباعه من الرؤساء - وتبعا لتقاليدنا - حراسا روحيين للسوق. وفي الحقيقة لولا ما تسمونه، أنت وجماعتك.. بتخطيط المدن... الذي لا يتعدى كونه اعادة البناء نفسه،

أقـول!.. لـولا أفكاركم الجـديدة هذه، أفكاركم المضحكة.. لكان السوق الجديد قد بني بالضبط في المكان، الذي كـان يحتله السوق القـديم، قبل الحريق.. أقصد.. بالضبط.. قرب عتبات قصر الحاكم نفسه! وإذن فلماذا؟ لماذا؟ كيف يستطيع الزعيم وأتباعه تأجيل افتتاح السوق، وتعطيل المصدر الحياتي الوحيد لشعبنا؟

إبـراهـيـم: هو ليس تأجيلا، أيتها الحاجة.

الحـاجـة: ماذا؟... ماذا تقصد؟!

إبـراهـيـم: أقصد بأننا إذا لم نتصرف بحذر.. فإن السوق ربما لن يفتح أبدا!

تـيـمـي: (تقفز من مكانها)، آه إنهم يقتلونني.. إنهم يقتلونني.. إنهم يقتلونني.. (يقتحم كاي المكان راكضا).

كـاي: ماذا.. ماذا يا تيميلولا؟ من الذي يقتلك؟! من؟!

تـيـمـي: السوق! السوق!

بيـجـو: هدئي نفسك أيتها السيدة.. رجاء! وأنت أيها السـيـد.. رجـاء.. إنـك تقـاطعنا..! أرجـو أن تـذهب وتنتظـر في الخـارج! (تدفـعـه إلـى الخارج بإصرار).

إبـراهـيـم: رجاء حذري ذلك الرجل بألا يقاطعنا مرة ثانية. إننا لسنا في دكان حلاقة!

الحـاجـة: استمع إلي يا بني، يبدو أنني لم أسمعك بشكل واضح. هل قلت كـابيـسي واتبـاعـه الـزعـمـاء،

كابيسي الذي أعرف... هم يرفضون السماح لنا بافتتاح السوق؟!

إبـــراهـــيـــم: بالضبط أيتها الحاجة! (تقفز تيمي صارخة مرة أخرى، ولكنها تصمت بعد أن رمقتها الحاجة بنظراتها. سوف يتكرر هذا الفعل مرات خلال هذا المشهد).

الحـــاجـــة: هذا السوق الذي كلف... كم قدر الحاكم تكلفته؟ أربعة عشر مليونا؟

إبـــراهـــيـــم: نعم أربعة عشر مليونا وتسع مائة بالضبط.

الحـــاجـــة: وهو السوق نفسه الذي سنفتتحه غدا؟

إبـــراهـــيـــم: الذي كنتم ستفتتحونه، أيتها الحاجة!

تـيـــــمـي: (باكية..) لقد انتهيت! يا إلهي، لقد دمرت! آه يا إلهي، لماذا لا أسقط ميتة الآن؟

الحـــاجـــة: هذا.. مع أن جميع بضائعنا بالداخل! وكل شيء قد أعد بالفعل للافتتاح! المشروبات! والخراف! والأكل! ماذا بعد ذلك؟

إبـــراهـــيـــم: إن الحاكم مستعد بالفعل لإعلان ذلك هذه الليلة. إلا في حالة نجاح هذا الاجتماع.

الحـــاجـــة: ينجح.. كيف؟ ماذا تقصد؟!

إبـــراهـــيـــم: ما زال هناك أمل صغير جدا. صغير جدا!

تـيـــــمـي: (تركض وترتمي تحت أقدام إبراهيم محاولة تقبيلها): قل لي يا سيدي! أرجوك أخبرنا يا سيدي ما هذا الأمل؟! أي شيء، ومهما كان سوف أفعله!.

إبـــراهـــيـــم: (منكمشا..) حقا يا سيدتي! أرجوك يا سيدة توماس، رجاء.

بيـــــجـــــو: (تأخذ بيد تيمي وتعيدها إلى مجلسها) أرجوك ان تتمالكي نفسك أرجوك، إن الأمور ما زالت تبشر بالخير.

الحـــاجـــة: استمع إلى يا بني، إننا تحت تصرفك الآن. أرجوك أخبرنا بالقصة كاملة.

إبـــراهـــيـــم: حسنا، سوف تعرفون كل شيء أيتها الحاجة، ولكن ليس مني. فقد كان دوري تمهيد الطريق، كما يقولون، أو بالأصح إعدادك لتلقي الصدمة. وما دام هذا قد انتهى الآن، يمكننا مواصلة الموضوع؛ لقد أرسل لكم كابيسي أحد ممثليه لمناقشة الموضوع معكم، وقد طلبت منه الانتظار في السيارة. ولكن لحظة، فربما تريدان شيئا قبل أن احضره هنا في الداخل؟ ربما تودين، أنت ومسؤولة الخزينة لديك، مناقشة شيء ما على حدة؟ يمكننا الانسحاب الآن.

الحـــاجـــة: لا.. لا.. ما الفائدة لقد استمعنا إلى أسوأ ما يمكن الآن. لقد حدثت الكارثة. دعنا نقابل الرجل الذي أتى من القصر، ونرَ إذا كان هناك أي أمل باق.

إبـــراهـــيـــم: حسنا إذن. آنسة توماس رجاء هل يمكنك الذهاب وإحضار الزعيم إلى هنا؟

بيـــجـــو: (تقف..) نعم يا سيدي.. في الحال! (تخرج من الغرفة، تيمي تتشنج وتنهار على كرسيها، بينما تبدو الحاجة متمالكة نفسها بشجاعة. تعود بيجو وهي تقود الزعيم العجوز، الذي يحمل سلسلة مقدسة تسمى «أوبيلي» تقوده بيجو بطريقة توضح منذ الوهلة الأولى بأنه عجوز أعمى).

إبـــراهـــيـــم: (يقف كي يمسك بيد الرجل) هذا هو الزعيم أوجوني. أنا متأكد أيها الزعيم بأنك لا بد قد سمعت عن الحاجة أولو أوسيون رئيسة جمعية نساء السوق. على كل حال هي المرأة التي تكلمنا عنها. وهنا أيضا مسؤولة خزينة الجمعية، السيدة آلاكين (تحيي المرأتان الزعيم الذي يرد عليهما بينما يقاد إلى مجلسه) حسنا هنا.. انتبه أيها الزعيم.. حسنا اجلس هنا. لقد قمت بواجبي حسب اتفاقنا، فقد شرحت لهما الوضع بالكامل، ولكن بالطبع هما تنتظران منك أن تشرح لهما جميع التفاصيل!

الـزعـــيـم: أشكرك يا بني. أرجو أن تعيش إلى سن متأخرة. (يقف مستقبلا دعوة العجوز) أرجو لك عندما تغادر هذا العالم أن تترك أحفادا خلفك! فشجر الموز يموت فقط كي ينفجر بقوة مخرجا نبتات خضراء جديدة... يا بني أرجو عندما تموت أن تحيط بك أياد خضراء! بيتك سيكون مليئا

بالمطربين، وليس خاويا مثل بيت الفقير! أقول بلطف.. بلطف سوف تحملك أيادي الأطفال الناعمة. كما تسمع الوريقة في الغابة أوامر الريح! كما تستمع القشة إلى ملاطفة النار! كما استمع عيسو لدعوات أوريونميلا! إن نبوءتي ستصبح حقيقة (يشارك جميع الحاضرين مثل الكورس بالتأمين على صلوات العجوز بترديد كلمة «آسي»).

حسنا يا بني.. هل قلت إن جميع المسؤولين عن السوق موجودون هنا الآن؟

إبراهيم: نعم يا أبي.

الزعيم: أيتها الحاجة!

الحاجة: أنا هنا يا أبي، باركني يا مالك الأسرار!

الزعيم: أوريونميلا يباركك! ومن هي الأخرى هنا؟!

تيمي: (تجثو على ركبتيها) إنني أدعى والدة إبيجي، يا والدي أوو.

الزعيم: يا والدة إبيجي على الأقل، أنت لا تنقصك المباركة! فأنت الآن محسودة من النساء، فأنت أم التوأمين!

تيمي: أرجوك يا أبي، اسأل إيفا أن تشملني بحنانها! فإن السوق إذا لم يفتح، فإنني لن أستطيع إطعام التوأمين اللذين باركهما أوريونميلا!

الزعيم: إن طرق إيفا غامضة، ياوالدة إبيجي، ولا يمكن لأحد فهمها.

الحـــاجـــة: إنك يا أبي الخادم الأمين لإيفا، ونحن نثق، بأنك لا يمكن أن تقول سوى الحقيقة. أخبرنا مالذي يجري في القصر؟ لماذا يريد زعماؤنا لزوجاتهم في الســـوق الموت حـــزنا؟ منذ دمـــرت يا أبي بضائعنا في السوق القديم عضضنا بأسناننا على ما بقي من حياتنا، وقاومنا كي نظل أحياء! وقد عشنا جميع أنواع المعاناة، كل واحدة منا.. شـهـوراً.. وشـهـوراً مما لا يمكن وصـفـه من الحرمان.. والمهانة صغيرها وكبيرها.. إننا نحاول باستماتة مراوغة دائنينا! ونعيش على مصادرنا الهزيلة ونحاول في الوقت نفسه إخفاء البقايا للقادم من الأيام...! نعم نجونا يا أبي.. وتجاوزنا المحنة.! هل تعرف ما الذي كان يدفعنا نحو ذلك؟ وما الذي جعلنا نجتاز تلك المعاناة؟ إنه أمل صغير جدا! إنه خيط رقيق من الأمل، أشعله بنا وعد الحاكم بأنه يوما ما... غدا سوف ينشأ سوق جديد، وتفتح أبوابه لنا جميعا! سوق جديد كبير وجميل... يعوض خسارتنا في السوق القديم. والآن... وأخيرا تحقق الحلم... فيما نحن موجودون فيه يا أبي... لقد حصلنا أخيرا بالفعل على مفاتيح أكشاكنا! أنا نفسي من قاد النساء في السوق الجديد لمشاهدة مكوناته باعجاب! بعدها أسرعنا بتأجير العربات ونقلنا

بضائعنا إليه. لقد اضطر أغلبنا إلى استدانة النقود كي نمون أكشاكنا بالبضائع مرة أخرى. ولذلك يا أبي غدا سوف يتكسر الكثير من الأحلام على هذه الحقيقة المؤلمة! النساء... زميلاتي النساء الفقيرات...، وبناتي... بعد كل هذه الأشهر التي غطتها الدموع... سوف يضحكن... ويغنين مرة أخرى! أرجوك يا أبي... أرجو ألا تقتل سعادتنا!...

الزعيم: (بعد صمت قصير...) أيتها الحاجة... افرضي بأن نساءك... انتقلن إلى السوق غدا صباحا... وفي المساء أضرمت النار بالسوق مرة أخرى، واحترق كما حدث بالنسبة إلى السوق القديم؟

الحاجة وتيمي: (معا...) لا... لايمكن ذلك... ليس للمرة الثانية لا... لاسمح الله...!

الزعيم: بالطبع... ولكن وحتى في الصباح وفي وسط الاحتفالات والفرح... فإن شيئا ما - ولا تسألاني ماهو... فأنا لا أعرف- لنفرض بأن هذا الشيء سيحدث، وسيفقد مئات الأشخاص حياتهم؟! ماذا تظنين أنه سوف يحدث في المستقبل لهذا السوق؟!

تيمي: هل تحاول إخافتنا يا أبي؟!

الزعيم: إن إيفا ليس لديها وقت لمزاح الأطفال يا ابنتي.

الحاجة: هل تقصد القول بأن ... بأن هذه الأشياء... تلك الأشياء يمكن أن تحدث؟!

الـزعـــــيـم: هذا الصباح، نعم... هذا الصباح بعينه، كابيسي استدعانا جميعا إلى القصر. أقصد نحن جماعة العرافين، لقد اجتمعنا، وكان هناك الزعماء أيضا، أوتون، وبالوجيون، ولاتو سيسا ورؤساء البيوت الرئيسية العشرة كلها. وأخذونا إلى السوق، وطلب منا كابيسي مباركة السوق والأكشاك، وطلب حماية الآلهة لكم جميعا، أنتم الذين ستنقلون إلى السوق، وعندها بدأ كل شيء!

الحـــاجـــة: ماذا؟!

الـزعـــــيـم: نعم... لقد كان أوليو أول من رمى الجوزات، حسب طريقتنا. ولكنه بدأ يتراجع مذهولا، لقد فهمت بمجرد ماسمعته يصرخ ما الذي رآه. فدفعته فورا جانبا، وجمعت الجوزات وقمت برميها... لقد كان شيئا مريعا. وبعدي أتى دور الأب أودي برمي الجوزات، وتبعه آخرون... وآخرون حتى اكتمل عددنا حتى السبعين، كلنا تلقينا الرسالة نفسها، وتأكدنا من أنها الرسالة نفسها... ولذا كان من الضروري اتخاذ قرار حول الموضوع...، وأخيرا ذهب كابيسي واثنان من صفوة أتباعه من الزعماء وثلاثة منا لمقابلة الحاكم. ولكننا لم نجده، فقد ذهب إلى خارج المدينة. ولذا اضطررنا للانتظار ريثما يعود.

إبـــراهـــيـم: لقد التقى بهم الحاكم لحظة وصوله، وبالطبع

فقد استدعاني على الفور. فأنا رجل الطوارئ كما تعرفون، وأنا من يدعون حين تتفاقم الأزمات، على كل حال، ها نحن هنا معكم! ويجب عليكم اتخاذ قرار بسرعة، لأنه ما زال هناك شيء يمكن فعله، فقد اكتشفت ذلك في النهاية.

تيـــــمي: آه... ماهو؟ أخبرنا بسرعة!

الحـــاجـــة: ماذا كانت رسالة إيفا يا أبي؟!

الـزعـــيـم: إنه شيء لن تكونا سعيدتين لسماعه.

الحـــاجـــة: أرجوك أخبرنا.

الـزعـــيـم: حسنا... إحداكن! إحدى نسائكن هي المسؤولة عن الدمار الذي أصاب السوق القديم

الحـــاجـــة: أرجوك أخبرنا.

تيـــــمي: لا... هذا مستحيل! إنها لا بد أن تكون كذبة!

الـزعـــيـم: إن إيفا لا تكذب أبدا يا ابنتي!

الحـــاجـــة: ولكن... كيف؟ هل حدث هذا بطريقة غير مقصودة؟!

الـزعـــيـم: إن إيفا تقول بأنه فعل متعمد.

تيـــــمي: هل تسمعين! إن هذا يتحول إلى أكثر من الجنون...!

الحـــاجـــة: من المؤكد أن ما تقولانه ليس صحيحا؟! فلماذا تلجأ أي من النسوة لفعل ذلك؟!

الـزعـــيـم: لم تخبرنا إيفا لماذا حدث ذلك، ولكنها الحقيقة، فالعالم يتغير كل يوم، فتحدث أشياء غريبة.

إبـــراهـــيـم: ولكن دعونا نتكلم في النقطة المهمة. إن المشكلة

الحقيقية الآن هي أن المرأة المخربة سوف تنتقل معكم إلى السوق الجديد أيضا، فقد خصص لها أحد الأكشاك.

الزعـــــيم: ولذلك فإن إيفا تحذركم بقوة من أن هذه المرأة المجهولة سوف تلوث السوق الجديد، ما لم تتطهر من جريمتها قبل الدخول في السوق، فقد أساءت إلى آلهة الأرض، آلهة السوق. وما لم تعترف، وتقوم بالطقس المناسب، فإنها سوف تحمل معها اللعنة، التي ستدمركم جميعا، لإن الآلهة في قمة الغضب، ومصرون على إنزال انتقامهم بكم غدا!

تيـــــمي: (بعد الصمت الذي سببته الصدمة) إحدانا؟ يا آلهي! ما الذي يجب أن نفعله؟! ماذا علينا أن نفعل؟

إبـــراهـــيـــم: حسنا، إن الكرة في ملعبكم الآن. هل يمكنكم الدعوة إلى اجتماع طارئ... لعضواتكم، لمناقشة إمكان الحصول على اعتراف ما؟!

تيـــــمي: لا فائدة ترجى من ذلك. من التي ستعترف في ظروف كهذه؟! من لديها الشجاعة كي تتحمل مسؤولية شيء مرعب كهذا؟!

إبـــراهـــيـــم: يجب عليكم المحاولة على كل حال.

تيـــــمي: إضافة إلى ذلك هل تعرف عددنا؟! إنه أكثر من عشرة آلاف إمرأة! من يستطيع جمع عشرة آلاف إمرأة بهذه السرعة، عشرة آلاف امرأة

منتشرات في جميع نواحي المدينة، والقرى المجاورة! وفي خلال ساعات قليلة... من الآن وحتى صباح الغد! آه لقد دمرت تماما، لقد حلت بي اللعنة في هذه الدنيا يا أمي (يقتحم كاي المكان بشكل مفاجئ).

كـــــــاي: لا... لا يجب أن تستسلمي بهذه البساطة يا تيميولا! ومع أني أعلم بأنك عنيدة فقط عندما يكون الأمر إهانة مني. ولكني أرفض ذلك! لقد أحضرت دراجتي البخارية. وسوف نذهب سويا لجمع النساء! هيا بنا لركوب دراجتي البخارية.

إبـــراهـــيـــم: (منفجرا) إن لم تخرج حالا أيها الرجل المزعج اللعين (يفر كاي إلى الخارج).

الحـــاجـــة: (بهدوء) لا يمكننا استدعاء العضوات مرة أخرى في هذا اليوم. لقد فات الأوان لذلك (صمت قصير) ألا يوجد حل آخر يا أبي؟!

الـزعـــــيـم: نعم هناك طريقة! دائما توجد طريقة؛ فقد اقترحت إيفا حلا آخر، يتعلق بكما أنتما الاثنتين... ولكنني لا أستطيع البوح به، لقناعتي المتواضعة بأنه غير عادل لأي منكما.

تيـــــمي: دعنا نسمعه، فما عاد هناك شيء يهم، أخبرنا يا أبي!

إبـــراهـــيـــم: هل توافقين على ذلك أيتها الحاجة؟

الحـــاجـــة: نعم أوافق بالطبع، دعنا نسمعه، سوف نكون

سعداء لفعل أي شيء ينقذنا من وضعنا الحالي، أي شيء مهما كان!

إبـــراهـــيـــم: إن البديل هو، تقول إيفا بأن الجانية الحقيقية إذا لم تتقدم للقيام بالطقس المطلوب، فإنه لا بد لإحداكن - كرئيسات منتخبات للنساء - من أخذ مكانها وتحمل الفضيحة.

تـيـــــــمـي: هل هذا هو الأمر الصعب؟ ما مدى صعوبته؟ أخبرنا، ما هو ذلك الثمن الذي لا نستطيع دفعه؟!

الـزعـــــيـم: هذا لو كان الأمر يتعلق بالمال فقط! ولكن الأمر يا سيدتي العزيزة أخطر من ذلك بكثير! إن إيفا تكون أحيانا قاسية جدا... وليس لديها أي حنان.

الحـــاجـــة: أخبرنا ماهي التضحية المطلوبة يا أبي.

الـزعـــــيـم: يجب على إحداكما التخلي عن كشكها، لمدة سبع سنوات! سبع سنوات لن يسمح لها بدخول السوق ولو لمرة واحدة! وسوف يصادر أحد الكهنة، جميع البضائع الموجودة في الكشك الآن، وسوف يقوم بعد ذلك بحرقها عند مدخل السوق، أمام نظر المرأة، التي ستشعل النار بنفسها، ثم تبدأ بالرقص عارية، متنقلة من كشك إلى آخر، توزع رماد النار وهي تردد أغاني التطهير. وبعد ذلك، سوف يباركها كهنة إيفا. هذا كل شيء، ثم هناك السنوات السبع

المحـرمـة؛ والتـي لا يحق لهـا وضع رجلهـا في السوق مرة ثانية!

تيـــــمي: يا إلهي... كل ذلك! كل هذه العقوبة لجريمة لم نرتكبها، ولم نعرف عنها شيئا!

إبـراهـيـم: هل فهمت ما أقصده الآن؟ إنه جنون... فأنا لا أستطيع بصراحة أن أطلب منكما تحمل هذه المعاناة، والمهانة، فهذا ليس عدلا.

الحـاجـة: وما هو البديل؟!

الزعـيم: البديل هو العثور على الجانية الحقيقية، وجعلها تعترف.

ثم نأخذها معنا إلى خلوتنا الخاصة لأداء طقوس أكثر جدية.

تيـــــمي: ولكن... آه يا إلهي! من هي المرأة التي استطاعت فعل ذلك؟! من منا تلك التي لا رحمة لديها لفعل ذلك الشيء. آه يا إلهي، ساعدني! إنني أكاد أجن! أيتها الحاجة يا أمي... هل تصدقين ذلك؟!

الحـاجـة: وإذا لم تجدوا المذنبة، يا أبي ورفضنا ذلك أنا ووالدة إبيجي؟!

إبـراهـيـم: قرار الحاكم - في هذه الحالة - ألا يفتح السوق، وتركه على حاله الآن، فمسؤولية الحاكم منع حدوث كارثة مهما كان الثمن، فنحن لا يمكننا المخاطرة.

الحـاجـة: ولكن هل يمكننا إخراج بضائعنا على الأقل؟!

إبـــراهـــيـــم: ربما لاحقا، فالمكان مقفل الآن، وغير مسموح لأي شخص بالدخول.

تـيـــــــمـي: ولكن هناك بعض البضائع التي ستفسد يا سيدي! والكثير من الأشياء التي ستفنى!

إبـــراهـــيـــم: ما الذي تفضلينه يا سيدتي، هلاك بعض الأشياء، أو لخطأ ما، هلاك بعض البشر؟! افرضي فقط بأننا سمحنا لك بالدخول، ولو لإخراج حاجياتك، ثم حدث لك شيء فظيع وأنت بالداخل؟! مثلا، انهار أحد الحوائط! أو نشب حريق آخر؟ أو شيء ما لم نتخيل حدوثه؟ حتى وإن كنت لا تؤمنين بالآلهة... فأنا نفسي مثلا، أعترف بأن لدي شكوكا حول هذه الأشياء! ...، وفي كل الأحوال! ربما تقولين هذا هراء... هذه خرافات، ثم تحدث بعد ذلك كارثة؟ لا يمكن للحاكم تحمل تلك المخاطرة! لا ياسيدتي أنا أعتقد بأن الحاكم على حق، لن يدخل أي مخلوق إلى السوق حتى تحل هذه المشكلة.

الحـــاجـــة: تيمي ... يا ابنتي ماذا تقترحين؟!

تـيـــــــمـي: لا أعرف ماذا أقول بعد الآن، لقد ضعت، أنا أعرف أن الكثير من الأحلام بنيت على ذلك، على افتتاح هذا السوق غدا، وعندما أفكر فقط بأن ذلك لن يحدث بسبب واحدة شريرة منا، فإن جميع هذه الأحلام تموت! ولا... ولا حاجة بي

لإخبارك بذلك. أنت التي ربيتنا جميعا لا حاجة بي لإخبارك بأن هذا السوق هو حياتنا. فكثير منا ليس لديه أي شيء آخر، ولم يعرف أي شيءآخر. لقد وصفونا بدقة عندما قالوا بأننا نحن النسوة نحيا ونموت بين البيع والشراء، حتى آباؤنا زوجونا بناء على صفقة، مساومين فيها بحجم مهورنا. وبمجرد ما نكبر قليلا فإنهم يضعون صينية على رؤوسنا، ويرسلوننا إلى الشوارع. وهكذا تعرفت على زوجي ذلك الكسول المنتظر خارجا والذي لم يفارق الشارع قط. ولذلك، فإنه عندما احترق السوق القديم، بدا لنا أن الحياة قد انتهت بالنسبة إلى أكثرنا، ولكن عندما رأينا السوق الجديد يبنى، ويتصاعد، حجرا بعد حجر، عاد الأمل إلينا، كنا نذهب خفية في مجموعات صغيرة، لنتلصص على البنائين وهم يقومون بالعمل ونتهامس بيننا بما وصل إليه بناء السوق، آه... إنهم اليوم بطيئون... وفي يوم آخر... إنهم يعملون بسرعة مذهلة! بعدها بدأ سقف السوق يرتفع، وكأنه أصوات أقراط آذان تجلجل... آه... ماذا أستطيع أن أقول لأصف ذلك الشعور وكيف كنا نحس آنذاك؟! لقد تغيرت حتى طريقة المشي بالنسبة إلينا، وحتى بالنسبة إلى أولئك اللاتي

لم يعدن يرضعن أطفالا - اثداؤنا امتلأت حليبا... كان هناك لحن جديد في أصواتنا! وفي الأسبوع الماضي... نعم الأسبوع الماضي بالذات، عندما سمح لنا بإدخال بضائعنا في السوق! آه... كنت سأموت لو لم أعط تلك الفرصة... أو لو لم أحصل على النقود لدفع قيمة الكشك... أو لو لم أحصل على البضائع لوضعها فيه! آه كم كانت لحظات مثيرة... إنها (يقتحم كاي المكان بشكل مفاجئ).

كـــــاي: ما هذا الذي تثرثرين فيه؟! أنت أيتها المرأة الحمقاء! لقد مللت من الاستماع إليك وأنت تثرثرين بلا انقطاع! هل تعتقدين بأن لديك طوال العام كي تتخذي قرارا؟! أو هل تريدين أن تجلدي قبل اتخاذ قرار؟! (ينزع حزامه أو حذاءه) هل تودين أن تذوقي طعم هذا قبل أن تعرفي ما عليك فعله... بدلا من هذه الثرثرة...؟! أو هل تعتقدين بأنه ما زال لديك أي خيار؟! إنك ببساطة لا تعرفين كيف تنقذين السوق!.

بيـــجـــو: (تقفز لتحول بينهما) هيا... يا سيدي العزيز...!

إبـــراهـــيـــم: لقد أنذرتك للمرة الأخيرة... ألم أقل.

تيـــــمـــي: إلا... دعوه، إنه على حق! إنها المرة الأولى في كل حياته البائسة ولكنه على حق! ليس لدي أي بدائل على الاطلاق... لا شيء بعد الآن! (تتجه

إلى الحاجة وتركع أمامها مقدمة لها التحية التقليدية جامعة يديها معا ثم ساحبة إياهما إلى الخلف وبعدها إلى الأمام): أيتها الحاجة... يا أمي... أعتذر عن كل ذلك. لا بد أنها لحظة قاسية بالنسبة إليك. إني أعرف شعورك الآن، وأنت تسمعين بأن جميع جهودك قد ضاعت، فأنت الأم الحقيقية لهذا السوق. لقد قمت بتربيتنا جميعا. لقد كنت دائما موجودة منذ نعومة أظفارنا لمساعدتنا. منذ كنا نحمل أطباقنا الكبيرة فوق رؤوسنا، ونحشر أنفسنا في الأزقة... كنت راعيتنا كذلك... عندما أصبح لنا طاولات خشبية صغيرة.. وكنا تحت رحمة مجلس المدينة بشكل دائم... من هناك أصبح لنا بفضلك، أكشاك صغيرة وضيقة... كانت بداية للثقة بأنفسنا وأخيرا حصلنا على أكشاك واسعة لها أبواب ورفوف... وحتى أماكن إضافية يمكن تأجيرها... آه يا أمي... كنت دائما هناك تقودينا نحو الأفضل، حتى نستطيع الاعتماد على أنفسنا، وحتى نستطيع أيضا إرسال أبنائنا إلى المدارس، ونشتري قطعة من الأرض... ونصب سقفا فوق رؤوسنا المتعبة! هذه كانت أحلامنا، التي ما كانت لتصبح حقيقة لولا إصرارك ووجودك بيننا في السوق. وكذلك

توجيهاتك ومساندتك، كل ذلك جعل السوق شبيها بمسكن مريح بالنسبة إلينا... لقد تحول إلى خلية وملجأ ورفقة بين جميع أولئك النساء، اللاتي ولدن في أرض، يربى فيها الرجال كي يصبحوا طغاة! وكذلك... أرجوك يا أمي اقبليها مني... إني أمنحها كلها لك... فمن أكون أنا في كل الأحوال. ومن كنت قبل أن تلتقطيني، وتجعلي مني شيئا؟ لقد كنت لا شيء! لم أكن أساوي شيئا! وكذلك كل شيء أملكه الآن هو من فضلك عليّ. ولذلك، فإنني أعيده لك ثانية يا أمي، وأنا في قمة السعادة. خذي كشكي، خذي كل شيء. خذيني أنا. فأنا مستعدة للتضحية، من أجل أن يحيا السوق الجديد. سوف أحرق بضائعي، وأرقص عارية، حاملة الرماد فوق رأسي. سوف أبتعد لمدة سبع سنوات... سبع سنوات... لن أموت! (صمت... صمت مميت... وكايوس يبتسم، ثم يذهب ويمسك بزوجته، التي تتعلق به، ويسمع الاثنان بكاء الحاجة الذي يرتفع... والدموع تنزل بغزارة على خديها... وتستدير تيميلولا إلى الزعيم).

تيمي: هيا يا أبي... دعنا لا نضيع وقتنا أكثر، أنا مستعدة، دعنا نذهب، ونبدأ بالطقوس التي ستظهر السوق.

الـزعـــــيـم: (يقف بتـأثر) حـسنا يا ابنتي. أشكرك كـثـيـرا. سوف تكافئك إيفا لهذا كثيرا.

إبـــراهـــيـــم: هيا يا مس توماس أفسحي الطريق.

الحـــاجـــة: (صـــارخـــة فـــجـــأة) لا... أنا أرفض ذلك... لن أسمح لكم.

تـيـــــــمـي: لا تحاولي إيقافي يا أمي... لم يعد هناك مجال لذلك الآن.

الحـــاجـــة: لا... أقول بأنني أنا التي ستذهب بدلا منك.

كـــــــاي: أنت أيتـهـا الحـاجـة... لا تحـاولـي أن تكوني مضحكة! تيمي قررت الذهاب.

الحـــاجـــة: وأنا أقول بأنني أرفض ذلك. أنا التي ستذهب!

تـيـــــــمـي: أرجوكم حاولوا إقناعها. أخبروها بأن هذا ليس معقولا، إنها قلب السوق وروحه. والسوق يدق تبعا لدقات قلبها (ضاحكة) من تظنين بين النساء ستوافق على أن تراك ترقصين عارية أمام كشكها؟ من ستتحمل لعنة كهذه... أرجوك يا أمي دعيني أذهب.

الحـــاجـــة: (بألم بالغ) إنكم جميعا لا تفهمون ما يحدث يا ابنتي... الحقيقة لقد كنت أنا... أنا المرأة التي اشعلت النار في السوق (يصاب الجميع بالذهول).

تـيـــــــمـي: هذا مستحيل يا أمي. لا بد إنك تكذبين! تكذبين لمنعي فقط!

الحـــاجـــة: لا، إنها الحقيقة. أنا أعترف بها الآن. لقد فعلت

ذلك كي أستعيد ابني. نعم لقد كان قضاء وقدرا... أنتم تعرفون ابني ليكي. لقد عرف كل شيء عني، عن أمه، لقد كان يهرب مني راكضا إلى الشرطة واضطررت لإيقافه.

كـــــــاي: إنك لا تدرين ماذا تقولين أيتها الحاجة! الشرطة! ابنك! ماذا يعني كل ذلك؟! إن الوقت حرج، ويمر بسرعة!

الحـــاجـــة: أعرف ذلك، ولكن رجاء استمعوا إلي، دعيني أقل كل ما لدي، خاصة بعدما ابتدأت بالكلام، دعيني أُزِح عن قلبي هذا الحمل الثقيل، الذي كتم أنفاسي منذ زمن طويل! فالحقيقة هي أنني لم أكن أنوي حرق السوق بأكمله. كيف يمكنني ذلك؟! إنه كشكي... كشكي فقط... أردت أن أدمره بسرعة قبل وصول الشرطة.

تيـــــــمي: الشرطة يا أمي؟! لقد بدأت تخيفينني؟

الحـــاجـــة: نعم، لقد ذهب ابني لاستدعائهم من أجلي... وخرجت النار عن السيطرة، لقد نسيت في خضم الخوف أن النساء بجانب المكان يبعن بارود البنادق، وأشياء أخرى سريعة الاشتعال... نعم أصبح من المستحيل... المستحيل السيطرة على النار، فقد انتشرت بشكل مخيف... وبدأت أهرب منها وهي تطاردني، وبصعوبة نجوت منها! ولم ينته الحريق إلا في الصباح التالي،

بعد أن احترق السوق بأكمله. ووقفت هناك أنظر إلى الأكشاك الممزقة، أنا أم السوق...

إبراهيم: الأحسن لك أن تتكلمي كذلك، أيتها الحاجة... إن من واجبي أن أحذرك من أنني رجل أمثل القانون، وأن أي شيء تقولينه سوف يستخدم ضدك في المحكمة!

الحاجة: لقد تعلمت ألا أعلق آمالا على أي شخص، وخاصة أعدائي... أنا أم السوق قد دمرت المكان برمته، وكل ذلك بسبب ابن عاق، ولكن الله يعرف كل شيء! لا بد أن لدي خطيئة في الماضي، وأنا أدفع ثمنها الآن. إنها النقود! فما أسباب المشكلات في حياتنا سوى ذلك؟! وما الذي يتحكم في حياة أبنائنا وأزواجنا سوى ذلك؟ وكذلك في إخواننا وأخواتنا وأصدقائنا؟ أليست هي النقود؟ هل يوجد باب يوصد أمام النقود؟ ما العوائق التي تصمد أمامها؟ إنه السبب الذي نذهب من أجله إلى السوق! ونعيش ونتنفس هواء السوق... إننا بذلك ننتصر على النقود ونجعلها أسيرة لرغباتنا! أليس تلك هي الحقيقة يا تيميولا؟!

تيمي: إن هذا ما علمتنا أيتها الحاجة! إنه سندنا ضد الفقر، إنه ما عصمنا من العيش كخرقة قديمة في خزائن أزواجنا!

كـــــــاي: تيمي...

الحـــاجـــة: ولكن ليكي لم يفهم هذا! إن الربح هو مصدر الطمع المسيطر.إن أخلاقيات السوق شديدة، ولكنها الأخلاقيات نفسها للمسجد أو الكنيسة! لقد رجع ليكي ذلك اليوم من المدرسة بشكل غير متوقع، وسمحت له البائعات الحمقى بالدخول إلى الغرفة السرية في خلفية الكشك، ورأى البضائع. وكانت هي بداية المتاعب! وعندما وصلت، كان غاضبا جدا، ويصرخ «تهريب... تهريب... بضائع مهربة» ولم أفهم كلامه عن سمعته بين الناس، والذي كان يردده وهو يبكي، وبأنه يجب عليه الالتزام بها... حاولت تهدئته ولكنه رفض التوقف، وأحسست بأنني لا أستطيع الوصول إليه بعد الآن! فإبني ليكي ليس ابني، ليس الابن الذي عرفته سابقا.

تيـــــمي: إن هذا كاف يا أمي. لقد فهمت كل شيء الآن..

الحـــاجـــة: لم أستطع الوصول إليه! ولم أستطع منعه عندما ذهب لإحضار الشرطة! لم أستطع سوى رؤية ظهره يبتعد عني، وأسمع نفسي أدعوه بني... يا بني... بني!

الـزعـــيـم: غريب... غريب جدا... لكن أرجوك استمري...

الحـــاجـــة: كنت أحمل مصباحا بيدي، فلم تكن الكهرباء تعمل تلك الليلة... كنت وحيدة. فقد طردت